الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأنثروبولوجيا

الموسوم بـ:

الحركة السلفية وموقفها من التراث الاجتماعي المحلي في المجتمع الجزائري
دراسة ميدانية لشباب مدينة وهران

إعداد الطالب:

مزيان أحمد

إشراف:

د/ طرشاوي رقية

السنة الجامعية: 2019-2020

شكر

الحمد لله على نعمة الاسلام،والشكر له على أن وفقنا في اتمام هذه المذكرة، كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني من بعيد أو قريب في إنجاز هذا العمل المتواضع، وأخص بالذكر أستاذتي المحترمة طرشاوي رقية التي أطرتني وساعدتني كثيرا، كما أشكر كل أساتذة قسم علم الاجتماع والأنثروبلوجيا وعلى رأسهم الأستاذة خيرة بن زيان، الأستاذ بلخير بومحراث، شليح توفيق، ومهدي سويح، والأستاذ غرس الله عبد الحفيظ. كما أشكر كل من درسني وتعب معي وصبر لأجلي

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى روح والدي محمد رحمه الله، وإلى أحن قلب في هذه الدنيا، ألى من كانت وتظل دائما سندا لي في السراء والضراء، إلى أمي العزيزة الغالبة خديجة شفاها الله وأطال في عمرها، إلى من خصني من وقته وساعدني كثيرا صديقي وأخي العزيز تومي علي، وإلى صديقي وأخي رحو إلياس وإلى كل الزملاء والزميلات الذين درسوا معي، وإلى كل طلبة علم الاجتماع والأنثروبلوجيا.

وإلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة طرشاوي رقية.

المقدمة

شغل الدين الإسلامي مكانة هامة في المشروع الحضاري وفي بلورة عناصره ومقوماته، وتكمن أهميته فيما يمارسه من تأثير في جميع مراحل الحياة، إذ يلعب الدين دورا أساسيا في بلورة وتشكيل الهويات التي تحدد طبيعة الوجود الإنساني والاختلافات التي تربطه بالهويات الأخرى المغايرة، كما هو الحال بالنسبة للدين الناجم عن منظومة تفسيرية العالم[1]، فيعتبر هذا العنصر محاولة لعرض أهم التيارات الفكرية والسياسية التي استخدمت الدين في الجزائر.

فقد لعب الدين الإسلامي دورا مهما في الحياة الاجتماعية، ويتبين لنا هذا من خلال بعض الرموز في الواقع الاجتماعي الجزائري، وفي هذا الوسط الاجتماعي الذي نعيش، حيث أن الأغلبية الساحقة تعتقد وتعتنق الدين الإسلامي الحنيف، وبهذا تتبين الهوية الدينية للمجتمع الجزائري بأنها هوية إسلامية محضة، ويعتبر أغلبية الجزائريين هم مسلمون سنيون مالكيون، مع أقلية إباضية تتمركز بوادي ميزاب، بالإضافة إلى أقليات أخرى كالشيعة وغيرها من بعض الطوائف التي ظهرت مؤخرا، لكن بالسنوات الأخيرة أصبحنا نلاحظ جماعات دينية متميزة عما كان سائدا وغالبا في المجتمع الجزائري، ويعتبر الإسلام جزءا لا يتجزأ من مكونات المجتمع فهو بمثابة البطاقة الأم للمجتمع الجزائري، حتى وإن كان مستوى تدين الأفراد متفاوت من شخص لآخر ومن جماعة لأخرى، إلا أن الإسلام لازال يؤدي وظائفه المتعددة لدى المجتمع الجزائري.

ومن بين هذه الجماعات الدينية، نجد ما يعرف بالتيار السلفي، أو السلفية الوهابية، التي تستمد شرعيتها من الدين الإسلامي، وتمارس الدعوة في مجتمع يعتبر قبل ذلك مسلما في الأساس، وبالتالي هي ليست ديانة أو ملة جديدة خارجة عن أصول الإسلام أو قواعده. هذا ما جعلنا نطرح عدة تساؤلات من بينها، لماذا أصبح الشاب الجزائري منتميا لهذه الجماعة؟ بل له شغف بأن يصبح فردا من هذه الجماعة؟ بل أكثر من ذلك لماذا أصبح المنهج السلفي في بعض الأحيان يمثل نموذجا حتى بالنسبة للشباب الجزائري الغير متدين؟ فلماذا أصبح

[1] جورج قرم، المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين تعريب خليل أحمد خليل، مراجعة ونسيب عون، دار الفرابي، 2007، ط1، ص246

سلفيا؟ ولماذا يرفضون تدين الآباء والأجداد، والإسلام الموروث؟ ما هو الدافع الرئيسي وراء تبني بعض الشباب الجزائري لهذا المنهج السلفي وأفكاره؟

هذه الأسئلة وغيرها أسالت حبر الكثير من المفكرين والباحثين العرب وحتى الغربيين، فتعددت أطروحاتهم واختلفت معالجاتهم سعيا لتفسير هذه الظاهرة من علمية موضوعية أو كتابات إيديولوجية ذاتية تنبع من نظرة اثنية مركزية ، وقد أردنا فهم هذه الظاهرة ليس من منظور عقائدي يحكم على الحق والباطل أو يبحث في النصوص، وإنما أردنا فهمها من خلال البحث في التصورات والممارسات التي يتبناها الأفراد انطلاقا من واقعهم المحيط بهم، وقد ركزنا في دراستنا هذه على فئة الشباب والمراهقين، ذلك أن المجتمعات البشرية لا يمكن لها أن تفهم ذاتها دون الإلمام وفهم طبيعة الشاب، والحال نفسها بالنسبة لكل الظواهر الاجتماعية الموجودة بالمجتمع من بينها الظاهرة الدينية، فكيف نعطي تفسيرات ونبني أطروحات بعيدا عن ممارسات وأفعال بعض الشباب الذي بدوره يعتبر مشكلا للظاهرة الإجتماعية، وما زاد اهتمامنا بتخصيص البحث لشريحة الشباب، هو ذلك الخطاب الديني الموجه والمنتج من طرف بعض منظري ورواد التيار السلفي، سواء على شكل رسائل أو كتب أو أشرطة، أو في وسائل الإعلام الموجهة للشباب.

أهمية الدراسة:

حاولنا في هذه الدراسة توظيف أدوات وتقنيات البحث العلمي لفهم وتحليل الأسباب والدوافع التي كانت وراء تبني بعض من الشباب الجزائري لهذا المنهج السلفي وأفكاره.

محاولة فهم وتحليل بعض مواقف التيار السلفي اتجاه التراث الإجتماعي المحلي في المجتمع الجزائري.

توضيح الأسباب التي جعلت الفكر السلفي يرفض تقريبا كل ما له علاقة بالتراث المحلي للمجتمع الجزائري، وما موقع الدين الإسلامي من هذا كله.

فأهمية هذه الدراسة تظهر لنا من خلال تعبئة جزء كبير من الشباب والمراهقين بمنهج يدعي أنه الوحيد الذي له الحق في التكلم باسم جميع المسلمين في العالم. فالأهمية هنا تكمن في تحليل مواطن القوة ومواطن الضعف لهذا التيار السلفي، وكيف استطاع أن يستقطب هذا الكم الهائل من الشباب الجزائري، وما هو الغرض من ذلك.

أهداف الدراسة:

– محاولة فهم مواقف هذا التيار أكثر من خلال التركيز على شريحة الشباب باعتبارها الفئة الأهم التي يركز عليها التيار السلفي.

– إنجاز عمل يهدف إلى إثراء رصيد البحث العلمي ويكون انطلاقة لدراسات مستقبلية.

– محاولة الفهم والتعرف على أسباب ودوافع تبني بعض الشباب الجزائري لهذا التيار الفكري.

أسباب اختيار الموضوع:

الأسباب الذاتية:

– فقد جمعتنا عاطفة الرغبة والرهبة في فهم جذور هذا الصراع، فالرغبة هي أنني أنتمي إلى هذا البلد وبصفتي جزء من مجتمع البحث وأنتمي إلى هذه الشريحة (الشباب)، وبحكم أنني عايشت هذه الجماعة السلفية لفترة زمنية لا يستهان بها، وحاولت جاهدا فك خيوط هذا التعقيد والتشعب، الذي تسبب في عدم استقرار النسيج الاجتماعي الجزائري بين أطياف المجتمع الواحد، فانتقلت الجزائر من دولة مستقرة نوعا ما على صعيد النسيج الاجتماعي إلى دولة مستهدفة نتيجة الصراعات السياسية والثقافية وتعدد الأعراق مما شكل أزمة هوية للمجتمع الجزائري.

الأسباب الموضوعية:

– اهتمامنا بالمواضيع التي تندرج ضمن سياق الدين والمجتمع من جهة، وكذلك مواضيع الشباب بشكل عام، والسلفية بشكل خاص من جهة أخرى.

– ففي السنوات الأخيرة بعدما كنا نلاحظ جماعة متميزة عن الآخرين بمجرد النظر إليها لأول وهلة، وذلك لما يميزها عن أفراد المجتمع، خاصة اللباس، والذي يسمى القميص بالنسبة للرجال، أما بالنسبة للنساء فيدعى بالجلباب، أصبحت مألوفة لدى المجتمع الجزائري، وترفض تدين الآباء وجل أشكال التراث الثقافي المحلي، والمنتمون لهذه الجماعة يطلق عليهم اسم السلفيون.

– ضف إلى ذلك مضمون الفكر السلفي (الوهابي) الذي يتخذه الشباب مرجعية لتبرير مواقفهم اتجاه الموروث الثقافي والذي يجعل من موضوع السلفية محورا له، فتعدد الكتابات والرسائل الموجهة للشباب تشكل نسبة كبيرة من اهتماماته، ... وبما أن محور هذه المواقف هو الفكر السلفي بنسبة كبيرة دفعنا لنفكر بأن تكون هناك دراسة عن هذه الجماعة.

– أما الدافع الموضوعي هو أننا انطلقنا من حيرة أنثروبولوجية راودتنا من خلال بعض التحولات القيمية في المجتمع الجزائري نتيجة صعود التيار السلفي، فعلى الرغم من المستوى التعليمي لبعض الشباب، ونمط وأسلوب حياتهم الحضري، وقربهم من أوروبا إلا أنهم تبنوا هذا الفكر السلفي أكثر من شباب الريف الذي طالما ظل محافظا على إرثه وتقاليده، كما يمكن التطرق لهذا الموضوع من مقاربات أنثروبولوجية متعددة ومتنوعة لحل هذا اللغز وفك جوانب التعقيد فيه. أيضا اختيارنا لهذا الموضوع راجع إلى الآثار السلبية التي وضف بها الدين عند التيار السلفي الذي يرى نفسه الممثل الشرعي والوحيد لأهل السنة والجماعة على وجه الأرض.

حدود الدراسة:

لقد وقع الاختيار على ثلاثة مساجد وهي مسجد الرحمة بحي خميستي، ومسجد بر الوالدين بحي ايسطو، وأخيرا مسجد الهداية بحي سيدي البشير (البلاطو)، وكلها مساجد تقع بمدينة وهران، وكان الاختيار عمدي ومقصود لأنه يحمل جملة من الخصائص التي تساعدنا على تقديم اجابات على الإشكال المطروح، وهي كالآتي: بحيث أن هذه المساجد تقع كلها في أحياء تحوي على طابع حضري في شكل البناء، وتضم شريحة معينة من الشباب الذي هو موضوع الدراسة وأساس مجتمع البحث.

أما الإطار الزماني للبحث فهو تحصيل حاصل لمدة زمنية تتراوح من شهر أكتوبر إلى غاية شهر ديسمبر من خلال الملاحظات المباشرة وإجراء بعض المقابلات مع المستجوبين كما هو موضح أدناه في تقنية المنهجية المستعملة.

صعوبات البحث:

لكل دراسة أو بحث، خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي تدرس الأفراد والجماعات، صعوبات تواجه الباحثين في هذا المجال باعتبار المبحوثين أفرادا لهم مشاعر وعواطف متغيرة، هذا ما طرح لنا حواجز وعراقيل أدت بنا أحيانا إلى صعوبات أخرى في البحث نلخصها فيما يلي:

– أولا وقبل كل شيء، أول صعوبة واجهناها هي المدة الزمنية القصيرة حوالي شهرين أو أكثر بقليل، وهي مدة غير كافية للقيام ببحث أنثروبولوجي لانجاز المذكرة، ضف إلى ذلك عدم التزام بعض المبحوثين بالمواعيد المحددة ما صعب علينا نوعا ما اتمام البحث في الموعد المحدد، كما لم تتح لنا الفرصة لتسجيل جميع المقابلات واستخدام آلة التصوير نظرا لطبيعة هذا التيار (السلفي) وحساسيَّتِه.

– كما لم يكن باستطاعتنا حضور كل الحلقات الدينية خاصة تلك التي تتم داخل المنازل نظرا لبعض الالتزامات أحيانا، ونظرا لضيق الوقت أحيانا أخرى.

– صعوبة الدخول في حوار مع بعض السلفيين نظرا لطبيعتهم المنعزلة عن الآخرين وهذا ما جعلنا نخفي هويتنا البحثية أحيانا والاعتماد على مخبر ساعدنا على حضور وزيارة بعض منازل المبحوثين، وكذلك توفير كم لا بأس به من المعلومات والمعطيات.

الدراسات السابقة:

1 دراسة عبد الحكيم أبو اللوز:

تتمثل الدراسة الأولى وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه قام بها الباحث المغربي عبد الحكيم أبو اللوز، وبإشراف من الأ ستاذ محمد الطوزي، متناولا فيها الحركات السلفية في المغرب

من منظور سوسيو أنثروبولوجي من 1971 الى 2004 من خلال التياران الأكثر انتشارا بالمغرب هما السلفية التقليدية الذي يركز على قضية تصحيح الاعتقاد ومسائل العبادات والسلفية العلمية الذي يعتمد على إحياء التراث وتحقيقه وتكوين نخبة علمية سلفية، وقد انطلق من إشكالية مفادها أن هناك ممارسات دينية بالمغرب تظهر تعددا سوسيولوجيا يتعلق بأشكال التدين الموجودة في المجتمع ، فهناك أنماط تدينية متعددة غير قابلة لأن تحصر في قالب مذهبي واحد، ولكن وسط هذا الواقع وجدت حركة أدت إلى إضعاف أنماط التدين التقليدية، وبروز تصورات دينية ورموزا غير مرتبطة بالبيئة المحلية ، لكنهها مسايرة للواقع الاجتماعي المغربي من حيث اتجاه حركة التدين إلى حياة دينية مؤسسة على الفردية وتحقيق الذات. فإلى أي حد تترجم الحركات السلفية التي كانت محل الدر اسة هذه الحركية التي يعرفها حقل التدين بالمغرب؟ ليجيب عن ذلك في الفرضية التالية وهي أن بروز السلفية لا يعتبر مؤشرا على أي انشطار عقدي أو مذهبي في المغرب على نحو ما تصوره السجالية المجتمعية بقدر ما هي تعبير عن مظاهر التحول السوسيولوجي الذي تشهده أنماط التدين في المغرب، فقد أصبحت النماذج الكلاسيكية للتدين في المجتمع المغربي ضعيفة ولم تعد تمارس دورا معياريا ...و تتجه إلى فقدان تأثيرها ومن ثم تشكل السلفية محاولة لسد هذا الفراغ ووسيلة لكي يسترجع الدين دوره المحوري، فبواسطة هذه المذهبية ، وعبر خطابها وأنماط فعلها وتنظيمها، يجد الدين فرصة للمقاومة والتحول والاستيلاء على مواقع ومجالات جديدة بما فيها مواقع التدين التقليدية.

وقد خلصت الدراسة إلى صياغة مفهوم السلفية الذي يدل على " نزعة احتجاجية على التطورات التي طرأت على المستوى العقائدي أي تقنين الدين من خلال الترشيد الأخلاقي للعقائد الممارسة وعلى المستوى التعبدي أي عن طريق توحيد نماذجها.. حتى يكون بإمكانها مواجهة البدع المستحدثة..." أما سوسيولوجيا فتتمثل هذه النزعة في حركات ذات طابع طائفي ترفض من خلال استقلاليتها المؤسسات الاجتماعية والسياسية.[2]

2 دراسة سمير أمغار:

[2] عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب، (رسالة دكتوراه) إشراف محمد الطوزي، 2007-2008، المغرب

دراسات سمير أمغار عن السلفية بأوروبا من بينها التي قام بها سنة 2006 حيث أوضح أن هناك أنماط تدينية جديدة ترفض النموذج التديني التقليدي المميز لجيل الآباء.

كان من أولها جماعة الإخوان وجماعة التبليغ بالإضافة إلى جماعة كانت تعتبر أقلية مهمشة لكن مع بداية 2000 بدأت تظهر كمنافس لتيارات الأسلمة السابقة.

ويرى الباحث أن هناك ثلاث تيارات للسلفية بأوروبا:

1 السلفية الثورية الجهادية كانت تابعة في الأساس لتنظيم الإخوان المسلمين يعترض على أنظمة الحكم القائمة في الغرب عن طريق المقاومة – الجهاد – لاسترجاع حكم الله وإقامة الدولة الإسلامية.

2 السلفية التي تهتم بالنشاط السياسي كوسيلة للتعبئة من خلال الجمعيات والمظاهرات ويعتبر هذا التيار أكثر تجذرا في أوروبا

3 السلفية الهادئة Quiétiste: معارضون ومعترضون على النشاط الثوري والسياسي ويعتبر الألباني وابن باز من أكبر وجوهها حيث ترى أن حل مشاكل المسلمين يكون من خلال التصفية والتربية بالعودة إلى السلف الصالح.

وفي دراسة أخرى لنفس ال باحث عن النقاب والسلفية بفرنسا، يحاول معرفة أصول ظاهرة الغطاء الكلي ، تطورها ونتائجها على صعيد الحياة الاجتماعية فبالرغم من أنها ظاهرة هامشية إلا أنها في ارتفاع بالسنوات الأخيرة، حيث يلاحظ انتشارها بين النساء الشابات من أصول مغاربية (جزائرية ، مغربية وتونسية) وافريقية وكذا من مقتنعات فرنسيات هذا النوع من الغطاء مرتبط بظهور السلفية بأوروبا بالتسعينيات وتتركز هذه الحركة خارج المدن وهي عبارة عن حركة طائفية أكثر منها جماعاتية فهي ترفض تدين الآباء اي التدين التقليدي ولا تظهر الاهتمام بالثقافة الجماعاتية ولا بالسياسة.

هذه الحركة مع أنها تدعو للهيمنة الذكورية إلا أنها تلقى استجابة من خلال شابات ولدن ودرسن بفرنسا.

ويرى الباحث أن ارتداء النقاب ما هو إلا تأكيد للذات بقطيعة بالقيم المهيمنة للمجتمع وتظهر كذلك هذه القطيعة برفض التدين الأسري الموروث وبالتالي هي تأكيد فردانية دينية.[3]

3 دراسة آر سنترز Centers:

هذه الدراسة التي قام بها الباحث، حاول من خلالها إبراز العلاقة بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية بالأحوال الفكرية والعقائدية...الخ. متخذا دراسة الطبقات، لتوضيح ذلك، ورأى أن المجتمع الرأسمالي تميزه طبقتين أساسيتين هما الطبقة المتوسطة والطبقة العمالية ومن خلال معاينته الميدانية لكل من الطبقتين بين المؤهلات العلمية والثقافية ونمط الحياة والمعيشة والظروف الاجتماعية والاقتصادية والمادية لكل منهما، ثم قام بعدها بتحليل أفكار وقيم ومعتقدات ومصالح ...الخ الطبقتين، ليصل بعد تحليل علمي وموضوعي إلى نتيجة أن واقع وظروف الأفراد هي من تقرر أفكارهم ومعتقداتهم.[4]

4 دراسة أخرى:

والتي خصت المجتمع المغربي بعنوان " القيم والممارسات الدينية في المغرب" كانت بإشراف من الباحث محمد جنجار الصغير وقد تمت بمقاربة سوسيولوجية من محمد العيادي، أنثروبولوجية من حسن رشيق وكذا السياسية من خلال محمد الطوزي وقد قسم هذا البحث إلى ثلاث محاور وهي المرأة والتدين، الشباب والتدين، المعتقدات الدينية والقيم.

وقد أظهرت الدراسة أن أغلبية المجتمع المغربي اختار الهوية الإسلامية قبل هويات أخرى (مغربية، عربية، أمازيغية).

كما كشفت أن المجتمع المغربي بفعل الحداثة يتجه نحو العلمنة.

---

[3] Samir Amghar et autres coordonné par Laurent Testot et Jean-François Dortier, La Religion, Edition Sciences Humaines, France 2005 pp 196-197-198 - 200

[4] طه نجم، علم اجتماع المعرفة (دراسة في مقولة الوعي والايديولوجيا)، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر 2004 ص 125

الكلمات المفتاحية:

تعريف التراث:

التراث هو عبارة عن ذلك النمط المعيشي الذي ينتهجه مجتمع ما ، ثم يتوارثه أفراد هذا المجتمع أبا عن جد. وهذا النمط يشمل مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفنية والعلمية والعمرانية[5].

تعريف الحركة السلفية:

كلمة سلفية تعبر عن تيار إسلامي عريض يشمل الكثير من الحركات الإسلامية والمفكرين الإسلاميين يدعون فيه إلى العودة إلى نهج السلف الصالح كما يرونه والتمسك به باعتباره يمثل نهج الإسلام الأصيل والتمسك بأخذ الأحكام من الأحاديث الصحيحة دون الرجوع للكتب المذهبية و يبتعد عن كل المدخلات الغريبة عن روح الإسلام وتعاليمه، لكن ضمن هذا التيار توجد تنويعات كثيرة لتفسير وتطبيق السلفية فمنهم من يحاول استمداد روح فهم الشريعة من السلف الصالح ومنهم من يطالب بالتطبيق الحرفي لآراء السلف و غالبا وفق فهمه الخاص لهذه الآراء و أبرز ممثلي هذا الالتزام بآراء السلف (الحركة الوهابية) أهم أعلامهم : محمد بن عبد الوهاب ، عبد العزيز بن باز – ابن عثيمين[6].

الإشكالية:

[5] https://www.ta3limkom.com/2017/11/searche-heritage-algeria.html يوم الأحد 11 أكتوبر 2020 على الساعة 11:43

[6] https://www.marefa.org/%D8%B3%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%A9 الأحد 11 أكتوبر 2020 على الساعة 11:43

يعرف الحقل الديني اليوم في الجزائر ظهور بعض الجماعات والحركات الدينية التي لم تكن بارزة من قبل، من بينها الحركة السلفية الوهابية التي تعرف بالسنوات الأخيرة نموا ملحوظا من خلال تزايد أتباعها الذين يتبنون تدينا طائفيا كما وصفه بعض الباحثين[7] ذلك لأنهم يتميزون في شكلهم عن الآخرين، وكذلك من خلال تصوراتهم ومواقفهم وممارساتهم التي تحدث القطيعة بأنماط التدين التقليدية المعروفة بالمجتمع وبالخصوص إسلام الزوايا والأضرحة، حيث لاحظنا أن هناك كما هائلا من الكتب والبرامج الدينية الموجهة للشباب، أين تشكل أهم محاوره وقضاياه المدعمة بالنصوص سواء كانت من الكتاب أو الأحاديث النبوية، أي: السنة، وبما أن الشباب هم الطاقة المتجددة للمجتمع، فهو يؤثر بشكل كبير وله دور محوري في رسم مستقبل الأمة الجزائرية، بحيث يحمل على عاتقه مسؤولية النهوض بالبلاد والعباد، فهو يؤثر ويتأثر وليس بعيد عن الاستجابة لهذا الخطاب الديني والايديولوجيا الوهابية الجديدة بالمجتمع، وبالتالي فهو يعتبر فاعلا اجتماعيا ومكونا رئيسيا للظاهرة السلفية في الجزائر، بحيث أصبحت تتميز ببعض المواقف والتصرفات الغريبة والرافضة للموروث الثقافي المحلي، ووصل بها الأمر إلى حد التحريم بالنصوص الشرعية واصدار بعض الفتاوى الخاصة بها، كالإحتفال بالمولد النبوي الشريف، ورأس السنة الأمازيغية أو ما يعرف بـ (الناير) وبعض طقوس الاحتفال في الأعراس كألبسة العروس (التبراز) وتحريم الاحتفال بهم وما يعرف لدى المجتمع الجزائري بالوعدة أو الطعم، وبعد أن تغلغل التيار السلفي في أوساط المجتمع الجزائري وصل إلى حد التمرد الثقافي إن صح التعبير، فأصبحت فكرته تنتشر شيئا فشيئا إلى أن اخترقت جدران الكثير من مؤسسات التنشئة الإجتماعية، فترسخت في ذهنية بعض التلاميذ من أبناء بعض السلفيين، فأصبحنا نرى تناقضا واضحا بين أبناء الوطن الواحد، والدين الواحد، والمدرسة الواحدة، في إحياء هذا الموروث الثقافي والاحتفال به، بحيث نرى أن بعض أبناء السلفيين لا يحتفلون مع زملائهم وأساتذتهم بهذا الموروث داخل المدرسة، بل أكثر من هذا تحريمه بإستخدام بعض النصوص الشرعية بحجة أنها لا تجوز شرعا؛ هذه التصرفات التي تعتبر دخيلة على المجتمع الجزائري، بل كانت حتى غريبة في الكثير من الأحيان في وقت مضى، مما أدى بهذه الجماعة إلى تبني نوع من الثقافة الجديدة للإنفراد والتمايز أكثر منه رغبة في العودة إلى الأصول سواء كان ذلك في

[7] من بينهم عبد الحكيم أبو اللوز وسمير أمغار

الفكر أو اللباس، أو حتى بعض الممارسات، لأن ارتداء القميص واطلاق اللحية يكاد يكون مقياس يثبت به الفرد انتماءه وولاءه لهذه الجماعة (السلفية) مكتفيا بذلك ومتجاهلا لمقاييس واعتبارات تاريخية وحضارية أخرى وخصوصيات ثقافية واجتماعية. كل ذلك أدى إلى نوع من الرفض لتدين الآباء (التدين التقليدي) فقررت هذه الجماعة الابتعاد عنه بتصورها الخاص، لتظهر هذه القطيعة برفض التدين الأسري الموروث وبالتالي هي تأكيد لفردانية دينية.[8] كل ذلك نجم عنه رفض قاطع لبعض أشكال التراث الثقافي للمجتمع الجزائري.

هذا المنطق الذي لا يَستنبط معادلاته في الجزائر من واقعها وانما يُستهلك كما تستهلك أية بضاعة مستوردة، كل ذلك أدى بهذا التيار (السلفي) إلى نوع من الرفض المطلق لهذا المجتمع القائم.

[8] Samir Amghar et autres coordonné par Laurent Testot et Jean-François Dortier, La Religion, Edition Sciences Humaines, France 2005 p 198 - 200

ربطت هذه الحركة بالفكر السعودي الوهابي الذي يعرف انتشارا واسعا سواء بالجزائر وغيرها من المجتمعات العربية الاخرى وحتى الغربية منها، وهي ممولة في أغلبها من العربية السعودية الراعي الرسمي لهذا المذهب والذي بدوره شكّل اليوم ما يسمى بالظاهرة السلفية في الجزائر، كما ربطت أيضا بظروف ووقائع اجتماعية أخرى كالأزمات السياسية والاقتصادية التي ساهمت بدورها في تشكيلها وإبرازها بشكل كبير.

وأحد عناصر الظاهرة السلفية هو موقفها الرافض للتراث الثقافي الجزائري المعروض من خلال إحياء بعض الطقوس والممارسات والاحتفال بها، أو من خلال وسائل الإعلام والقنوات الفضائية. لقد لفت انتباهنا لظاهرة انتشار التدين والرموز الدينية من إطلاق للحي وانتشار ظاهرة الجلباب الذي حل محل الحايك أو حتى اللباس الغربي بالنسبة للنساء، والقميص والطاقية بالنسبة للرجال، وغيرها من بعض السلوكيات والاشكال الخاصة والسائدة لدى المجتمعات الخليجية والمتعلقة بتراثها الثقافي، وبالأخص المجتمع السعودي. كل هذا يمارس باسم الدين، أي: تحت غطاء ديني، هذا بالإضافة إلى رفض الفكر السلفي المطلق لبعض المظاهر الثقافية المتعلقة بالتراث الثقافي المحلي، بالإضافة إلى عدم تمسكه ببعض مظاهر التراث المحلي والتي لا تتعارض في مجملها مع مبادىء الدين الإسلامي الحنيف كالبرنوس والقشابية مثلا، كما يجب أن أنوه بمعرفتي عما يجول لدى هذه الجماعة السلفية بحكم معايشتي لها لمدة لا يستهان بها، هذا من جهة ومن جهة ثانية ملاحظة ماذا يحدث في هذه المساجد بحكم سيطرت أصحاب الجماعة السلفية عليها، والتي أصبحت تقريبا مساجد شبه خاصة بهم، كما كنت على معرفة ومقربة من هذه المساجد والتي كنت مزاولا على زيارتها بانتظام، حيث قمنا بملاحظة جماعة من المبحوثين أثناء تفاعلاتهم اليومية والعفوية وكذا ملاحظة الحدث أثناء وقوعه والذي يساهم في تدعيم المقابلة وفهم وتحليل المعطيات المتحصل عليها. كل هذا دفعنا إلى أن نهتم بهذا الموضوع ومحاولة فهم كيف سيطر هذا الفكر السلفي على فئة لا يستهان بها من شبابنا سواءا كان هذا الأخير يبدوا سلفيا أم لا، والسؤال الذي لم يغادر ذهني، ماهي خلفيات هذه المواقف؟ وماذا تخفي من ورائها؟ وكيف أصبحت تتبنى أشكال ونماذج ثقافية أخرى لا تمت بصلة مع تاريخنا وهويتنا وموروثنا الثقافي مع أن كلا النمطين (السلفي والمحلي) ينتميان للدين نفسه؟

وما مدى تأثير المد السلفي الوهابي على سلفية الجزائر؟

ولماذا يرفض الفكر السلفي كل ما له علاقة بالتراث المحلي للمجتمع الجزائري؟

ولماذا جل التركيبة البشرية للتيار السلفي (السلفية العلمية) من شباب ومراهقي المناطق الحضرية، خاصة الأقطاب الحضرية الكبرى، على الرغم من أن أسلوب نمط الحياة في المدينة يقترب من النمط الغربي إذا ما قارناه بشباب ومراهقي المناطق الريفية الذين يبدو أن أسلوب حياتهم أكثر وفاءا للإرث والعادات والتقاليد؟

الفرضيات:

1 المعطى الاجتماعي:

- نعتبر أن الأشخاص الذين تبنوا هذا الفكر السلفي (السلفية العلمية) وخطابه الديني، وآمنوا بهذه المرجعية (العقيدة السلفية) وجدوا فيها ما يعيد الاعتبار لمكانتهم الاجتماعية، وتجلى هذا من خلال التظاهر ببعض الرموز والممارسات الدينية والثقافية الغريبة عن مجتمعنا.

- نرى أن التسابق وراء هذه الفئة من الشباب والمراهقين، واستهدافها بشكل مباشر، بما أنها تبدو كورقة بيضاء، أو كأرض خصبة مهيأة لزراعة هذه الأفكار والقيم (السلفية) فيها وتسهل تغذيتها فيما بعد، بحيث نجد أن غالبيتها لم تبلغ بعد مستوى النضج والرشد، وبحكم أن الفرد في هذه المرحلة بالذات يبدأ البحث في طريق العودة إلى الله، خاصة الفئة التي لم تلتزم بعد.

2 المعطى الثقافي:

- يبدو أن تبني بعض الشباب والمراهقين لهذا الفكر السلفي جاء كنتيجة وكردة فعل لمناهضة مشروع الدولة العصرية الذي يقوم على أساس الانفتاح على العالم الآخر الذي تبنته الدولة الجزائرية خاصة مع نهاية القرن العشرين.

3 المعطى السياسي:

- نعتبر تبني بعض من هؤلاء الشباب الجزائري لهذا الفكر السلفي يعود للمشروع الذي راهنت عليه الدولة الجزائرية للخروج من أزمتها (العشرية السوداء) في إطار سياسة ملأ الفراغ الذي تركته الجبهة الاسلامية للانقاذ المنحلة، باعتبار أن السلفية العلمية تمجد وتوجب طاعة الحاكم وتحرم الخروج عليه، باعتبار هذه الأخيرة تبتعد عن أي نشاط سياسي أو حزبي، وبالتالي يصب في إطار يخدم السلطة الحاكمة ويجنبها الصراع مع الاسلاميين مرة أخرى.

طرق جمع المعلومات:

التقنيات المستعملة:

1 الملاحظة:

لقد اعتمدنا في بحثنا أيضا على استعمال تقنية الملاحظة المباشرة، وهي خطوة منهجية ضرورية في كل بحث أنثروبولوجي، وتقنية مكملة وضرورية للتحقق ومراقبة نشاط وممارسات المبحوثين؛ كما استندنا في بحثنا هذا على بعض الوسطاء، حيث كانوا يسهلون لنا عملية الاتصال بالمبحوثين وعن مضمون بعض الحلقات الدينية وعن الإحاطة أكثر بأوضاع المبحوثين.

2 المقابلة:

لقد استخدمنا في عملية جمع المعطيات الميدانية للمبحوثين، تقنية المقابلة (شبه أو نصف الموجهة) سواء كانت فردية أو جماعية، والتي اعتمدنا فيها على جملة من الأسئلة التي طرحناها على المبحوثين كلٌّ على حدة، وكل هذا بعدما قمنا بالمقابلة المفتوحة خلال المرحلة الاستطلاعية، وهي تقنية (المقابلة) مباشرة بين الباحث والمبحوثين، فهي تعتبر من أحسن التقنيات في البحوث الاجتماعية والإنسانية، لأنها تساهم في جمع المعطيات التي تساعد على معرفة ردود أفعال المبحوثين وفهم بعض سلوكاتهم وممارساتهم الاجتماعية، نظرا للاتصال المباشر معهم، ولأنها ملائمة تتماشى والبحوث الكيفية.

عينة البحث (مجتمع البحث):

لقد كانت معاينتنا غير احتمالية وهي تتماشى والبحوث الكيفية التي تعتمد على تقنيات الملاحظة والمقابلة، وقد تم تحديدنا لعناصرها من خلال حضورنا للتجمعات والأماكن التي يقصدونها، كالمساجد

مثلا، حيث تمت مواظبتنا على حلقات دينية تقام في كل من مسجد الهداية بحي سيدي الباشير (حي البلاطو)، مسجد بر الوالدين بايسطو، ومسجد الرحمة بحي خميستي وهي كلها مساجد بمدينة وهران.

كما تمت بعض اللقاءات في بعض الحدائق والمقاهي (كالحديقة المتوسطية) في أحياء مدينة وهران، كل هذا ساعدنا على التعرف بعدد لا بأس به من السلفيين، ثم اخترنا بعد ذلك من يمثل مجتمع البحث انطلاقا من إمكانياتنا في ذلك حيث اخترنا أولئك اللذين تكررت لقاءاتنا بهم.

لقد اخترنا بداية عينة مكونة من أربعة عشرة شخص، لكن تقلصت فيما بعد بسبب ظروف خارجة عن نطاقنا، إلى عشرة مبحوثين.

أما فيما يخص متغير الجنس، ونظرا لصعوبة الاتصال بجنس الاناث على أساس أن مجتمع البحث تسود فيه القيم الأبوية بشكل ملفت للنظر، فقد حاولنا حسب إمكانياتنا المتواضعة أن نتعرف على موقف الإناث من هذه المسألة فقد مثلن بمبحوثتين وهما طالبتان وقد ساعدتانا في هذه العملية بعض الأصدقاء والزملاء، حيث أنهم تكفلوا بتقديم هاتين المبحوثتين وساعدونا في مقابلتهما، ومحاولة منا أيضا لتوسيع نطاق البحث، ولفهم درجة التعقيد الذي يمس موضوع الدراسة، حاولنا إدراج فئة من النخبة السلفية في هذا الموضوع، لما تحمله من رأس مال رمزي قد يشفع لها لفهم ما يجري حول بعض التحولات القيمية والثقافية منذ صعود التيار السلفي في المجتمع الجزائري.

المنهج:

لقد تم استخدامنا للمنهج الكيفي والذي يهدف إلى فهم الظواهر الاجتماعية فهما معمقا، من خلال تحليل أقوال وسلوكات المبحوثين المتحصل عليها من عدد قليل من المقابلات والملاحظات، والتي تساعدنا في إدراك المعنى وفهم المغزى العام منها.

الظاهرة الدينية في بعض المقاربات:

تعتبر مسألة الدين من المواضيع الهامة التي تندرج ضمن حقل الأنثروبولوجيا الدينية، فقد اهتم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بالظاهرة الدينية، حيث توجد العديد من الدراسات التي اشتغلت على الحقل الديني، نذكر منها على سبيل الحصر لا التشبيه، دراسة ماكس فيبر حول الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية، حيث يوضح لنا دور الدين في إبراز النظام الرأسمالي إلى يومنا هذا، وفي كثير من الأحيان

لا تجري في سياقات الحياة علاقة مع التحفيزات الدينية، وإن كانت موجودة فهي كالعادة سلبية[9]. فقد شكلت هذه الدراسة حجر الزاوية في إرساء معالم علم الاجتماع التفاهمي. فيعد ماكس فيبر من العلماء البارزين الذين اهتموا بالدين بشكله الشمولي، وما يتفرع عنه من معتقدات وطقوس وتصورات.

فقد أسهم فيبر من خلال محاولته الرامية الى فهم طبيعة الدين من خلال تفاعله مع البناء المؤسساتي والثقافي للمجتمع، ويظهر هذا بشكل جلي في كتابه "الروح الرأسمالية والأخلاق البروتيستانتية"، حيث يقدم لنا فيبر أشكال التدين من خلال تصور المجتمع الى الدنيا، سنرجع الى نتائج هذا الحدث من أجل الممارسات الروحية اليومية، فبكل وضوح وفي كل حالة نعدل كل وضعية دينية للإنسان[10]. حيث وصل من خلال نتائجه المستخلصة لدراسة سلوكيات المجتمع بوجود نوعين من السلوك:

- وجود تدين لدى الجماعات التي تبتعد عن الحياة وعن ملذاتها، فيكتفون بالتأمل والتضرع وعدم الدخول في الحياة العملية، وهذا ما يعتبره فيبر عائق أمام التقدم ويعيق الوصول الى الرأسمالية والعقلانية بشكل عام.
- تبيان التدين الثاني، والذي يعتبره فيبر أكثر فعالية من الآخر، وهو الذي يقوم على فهم ما يجري في هذه الدنيا آخذا بعين الاعتبار مسألة الصرامة المفروضة على أعضائه من خلال أفعالهم وحركاتهم وأفكارهم، وذلك بفرض الوازع الأخلاقي على الجماعة.

فالتثمين الدين للعمل المنظم والمتواصل الذي لا يعرف الراحة، واعتباره أعلى وسائل الزهد، وفي نفس الوقت الدليل المؤكد والواضح على الميلاد من جديد والايمان الأصلي، لابد أنه كان الدعامة الأقوى لتوسع الروح الرأسمالية، فهذا النوع من التدين يتضمن العقلانية في السلوك وهذا ما يطلق عليه فيبر بـ "رجال المهنة".

أما عن العلاقة بين البروتستانتية والرأسمالية، فيؤكد فيبر على الدور الذي لعبته البروتستانتية خلف المصالح الرأسمالية، حيث بدأ الرأسماليين والعمال يشعرون بأن هذه الممارسات والسلوكيات ليس بغرض السعي وراء مصلحة ذاتية، وإنما في الحقيقة واجب أخلاقي وديني. البروتستانتية لم تلعب آنذاك دور

[9] MAX WEBER, L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme, traduction inédite et présentation par Isabelle Kalinowski, Flammarion, 3 édition, 2002. « De nos jours, les conduite de vie n'entretiennent le plus souvent aucune avec les motivations religieuses, et lorsqu'une telle relation existe, elle est habituellement négative ». p115

[10] Ibid, p170. «Nous reviendrons sur les conséquences de cet évènement pour les pratiques morales quotidiennes. De toute évidence, il modifia en tout cas la situation religieuse des hommes »

تاريخي إلا أنها كانت الثمرة الناضجة للمفاهيم العقلانية المحضة للوجود[11]. وهذا ما نجم عنه توافق بين الأخلاق البروتستانتية والروح المالية الحديثة، كان الأمر لو كانت الطهرية الكالفينية Puritanisme، قد خلقت محيطا ثقافيا مواتيا لتطور الرأسمالية عبر بث قيم الزهد الدنيوية، وهو ما يفسر أن الأفراد المطبوعين ثقافيا بالبروتستانتية هم من شكلوا في البداية طبقة المقاولين الجدد[12].

كانت النتيجة بروز عمال جديدين يعتنون بعملهم ومنضبطين على نحو غير عادي، يتمسكون بعملهم كهدف للحياة أملاه الدين. فقد وظف فيبر في دراسته مسألة الفهم للظاهرة الدينية، حيث عمل فيبر وفق هذا الأسلوب للربط بين المنظومة الفكرية الأخلاقية البروتستانتية والروح الرأسمالية، ويؤكد فيبر على أن النظام الرأسمالي ليس مبني على الجشع والاستغلال، بقدر ما هو نظام أخلاقي وطريقة في الحياة والربح، وقد نجحت البروتستانتية في إعطاء الشرعية الأخلاقية للنظام الرأسمالي، وأدت الى التوسع الغير مسبوق في السعي وراء الربح ونجاح النظام الرأسمالي، فما يهمنا من هذه المقاربة الإستفادة من المنهج التفاهمي، الذي يمتاز بالليونة والمرونة لفهم طابع التدين لمجتمع البحث ، فالأمر يتعلق بفهم سلوك الأفراد المتميزين الذين يشاركون، وهذا المكتسب الإضافي ومع ذلك تم دفع ثمنه غاليا، لأن الحصول عليه كان بثمن طابع بالأساس إفتراضي وتجزيئي للنتائج التي نتوصل إليها بواسطة التفسير. مع هذا، فبالضبط هذا هو ما تتضمنه خصوصية المعرفة السوسيولوجية[13]. فمن خلال معرفة الأصول المادية والرمزية لمجتمع البحث، وما تأثير كل هذا الجانب التديني والتصوراتي الذي يؤثر أيضا وبنفس الطريقة على موقفهم اتجاه التراث الثقافي للمجتمع المحلي.

تقسيم الدراسة:

لقد تم عرض البحث فصلين:

فصل أول يعتني بالدراسة النظرية وخطواتها المنهجية التي اخترناها والتي بدورها كانت مسيرة للبحث.

فصل ثان قدمنا فيه مقاربة تخص الظاهرة الدينية وكيف تمت دراستها في المدرسة الدوركايمية والفيبيرية والماركسية، ثم انتقلنا إلى الإسلام باعتباره دينا ومشكلا للهويات والايديولوجيات من بينها السلفية، كما تطرقنا فيه إلى الدراسة الميدانية، حيث حاولنا الربط بين ما هو ثقافي واجتماعي. أما الخاتمة فتضمنت نتائج الدراسة.

---

[11] Ibid, p124 « Le protestantisme ne jouerait dès lors un rôle historique que dans la mesure où il aurait été le fruit précoce des conceptions purement rationaliste de l'existence ».

[12] دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، توزيع م د وع، 2007، ص137

[13] MAX WEBER, Economie et société, trad. Paris, puf, Coll, recherche politique, 1986, p13-14

تحديد المفاهيم الاجرائية :

السلفية:

تتجلى في حركة وجماعة دينية إسلامية، ذات طابع طائفي[14]، تحاول تصحيح العقائد والممارسات الدينية مما علق بها من مستحدثات وتطورات (البدع)، وذلك بالرجوع بها إلى طابعها الأصلي، أي إلى ما كان عليه السلف الصالح وأهل السنة والجماعة، المتمثلين في النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة من بعده، والتابعين، مشكلين بذلك قطيعة بنماذج التدين الأخرى، فهي بالنسبة لهم لا تمت بأي صلة للإسلام الحق. انها جماعة تعول على شرائح المجتمع خاصة عنصر الشباب والمراهقين، دون اللجوء إلى وسائط سياسية، حزبية أو جمعوية.

الوضع الثقافي:

هذا الوضع يعبر عن الحالة الفكرية، خاصة المبحوثين، فالحديث عن الفكر لا يكون إلا بالحديث أولا عن المستويات التعليمية والشهادات المتحصل عليها، هذا ما يعتبر رسميا، بالإضافة إلى التعلم الفردي الحر وهو تعليم غير رسمي، يحصل من خلال اختيار بعض أنواع الكتب المطالعة ..الخ، وكل هذا يشكل حالة ووضعية ثقافية للمبحوثين.

الوضع الاقتصادي:

يعبر عن الحالة المادية للمبحوثين وأسرهم كذلك، وهي بدورها تصنفهم ضمن طبقة معينة انطلاقا من الوضعية المادية والتي تتحدد في مجملها بقيمة الدخل وأنواع المهن المزاولة والملكيات الخاصة، والفضاءات السكنية التي ينتمون إليها ...الخ.

الوضع الاجتماعي:

هو وضع يصف أسر المبحوثين، من ناحية نمط التنشئة الاجتماعية، التصورات التي توجههم ... وكذلك أدوارهم سواء كانوا آباء، متزوجين، غير متزوجين، مطلقين، عاملين، وبطالين ...، انه يحيط بهؤلاء الشباب ويساهم بدوره في تبنيهم لهذا النهج وهذه المواقف.

[14] عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب، (رسالة دكتوراه) إشراف محمد الطوزي، 2007-2008 المغرب

وقد تنبأ العديد من العلماء والباحثين في علم الاجتماع والفلسفة، الأنثروبولوجيا والتاريخ وغيرها منذ نهاية القرن 19 أن الأديان ستزول وتختفي، وأن العلم والعقل سيحلان محله فمع التطور والحداثة التي تعرفها المجتمعات، يكف الأفراد عن الاعتقاد في القوى الغيبية ويفقد الإحساس أيضا بما هو مقدس، لكن في سنوات الستينيات والسبعينيات وما بعدها الى اليوم سجلت عودة للدين في كافة المجتمعات تقريبا شرقية، غربية، متخلفة أو متطورة ...هذه الظاهرة أصبحت تسمى عند العديد من الباحثين إن لم نقل كلهم بـ"عودة المقدس" أو "عودة الديني"، في واقع الأمر نتحفظ عن هذه العبارة والتي تعني لنا أن الدين قد اختفى وزال كليا ليعود مرة أخرى.

فالأمر لا يتعلق بزوال الأديان ثم عودتها، إنما هناك أشكال تدينية جديدة ظهرت ولا زالت تظهر، من خلال إعادة تشكيل وصياغة جديدة للديني[15]، فالمسيحية لم تزل، ولكن الإنجليزية البروتيستانتية هي حركة جديدة العهد تعيد صياغة جديدة للمسيحية، ولا البوذية زالت لكن البوذية المتطرفة بأوروبا جديدة العهد كذلك، ولا غيرها من الأديان الأخرى، إنما هي حركات دينية ولدت وتولد من رحمها مشكلة أنماطا دينية جديدة من دين موجود في الأصل.

الإسلام: دين، هوية ثقافية، وإيديولوجيات:

يعتبر الإسلام دين سماوي توحيدي والذي جاء بعد اليهودية والمسيحية، وهو الدين الذي أوحى به الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويعتبر آخر الرسالات السماوية ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام آخر الأنبياء والمرسلين.

بعد وفاة الرسول ﷺظهرت اتجاهات ومذاهب عديدة كانت نتيجة اختلاف وتعدد الرؤى وحتى المصالح، من بينها وأشهرها إلى حد اليوم السنة، والشيعة، حيث تمثل السنة التراث والتقليد النبوي أي كل ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من قول وفعل وعمل، ولها أربع مدارس فقهية وهي الشافعية والمالكية، الحنفية والحنبلية.

[15] أوليفيي روا، الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة، ترجمة صالح الأشمر،دار الساقي، الطبعة الأولى، 2012 ، ص 88

أما الشيعة فنسبة لمن تشيعوا لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وآل بيته، ويرون أحقيتهم بخلافة المسلمين بعد النبي ،أي: الإمامة وهي بدورها انقسمت إلى عدة مذاهب من بينها: الجعفرية والإسماعيلية والزيدية ...الخ[16]

انتشر الإسلام عن طريق الفتوحات الإسلامية والتجارة إلى عدة بلدان وأمصار، ويمثل اليوم معتنقوه ثاني أكبر نسبة في العالم بعد المسيحية، ويتمركزون بشمال إفريقيا، والشرق الأوسط، وجنوب آسيا، وهي مجتمعات تسمى وتعتبر إسلامية، بالإضافة إلى المعتنقين الجدد سواء بأوروبا أو أمريكا وغيرها من مناطق العالم الأخرى.

عندما حل الإسلام على شعوب متعددة الثقافات والإثنيات، لم يلغي الثقافات التي وجدها، بل استمرت الهويات الثقافية إلى جانب الإسلام كمعتقد، وهذا ما خلق عدة انتماءات وأشكال للإسلام انطلاقا من تعدد الثقافات، فنتحدث عن إسلام تركي وإسلام إفريقي وإسلام مغاربي ...الخ.

وقد أوضحت دراسة غيرتز ذلك في كتابه الشهير Observer l'Islam التطور الديني في كل من مراكش بالمغرب، وجزيرة جافا باندونيسيا ،حيث درس كيف تطور دين واحد له نفس التعاليم وهو الإسلام بطريقتين مختلفتين، وقد كان ذلك حسب الظروف التاريخية والاجتماعية، وبين كيف تؤثر الثقافة المحلية في الدين الواحد، وهذا ضمن العلاقة بين النص والفعل، وبالتالي فالظاهرة الدينية تفاعلت بطريقة وثيقة مع الواقع والمتغيرات الاجتماعية، وهذا حال الإسلام الجزائري الذي هو جزء من الإسلام المغاربي والذي تأصل في هوية الجزائريين –وإن اتخذ نماذج متعددة – لدرجة أنه لا يمكن التحدث عن الهوية الجزائرية دون الأخذ بعين الاعتبار الدين الإسلامي كأهم عناصرها ومكوناتها، وهذا ليس معناه أن الجزائريين أكثر تدينا وإنما هناك تداخل وتفاعل ثقافي بين عنصر الدين وعناصر أخرى (الثقافة المحلية) حتى أن التبشير الديني أثناء الاستعمار، فشل فشلا ذريعا وخيب أمال الكنيسة الكاثوليكية، مما دفع الأب كريستيان دلهوم يقول أنه لا ينبغي تحويل الجزائريين إلى المسيحية لان السمة الإسلامية هي جزء لا يتجزأ من الهوية الجزائرية.[17]

[16] Michel Reber ; Petite sociologie de l'islam. Édition Milan France 2005 p 118119

[17] أوليفيي روا، مرجع سابق، ص 40

وحتى المتحولون الجدد اليوم إلى المسيحية مثلا يعاقبون اجتماعيا قبل القانون وأحيانا من أفراد لا يعتبرون متدينين حتى.

بعض أنماط التدين بالمجتمع الجزائري:

1 . التدين الشعبي:

ومن بعض نماذج التدين في المجتمع الجزائري، ما يسميه البعض بالتدين الشعبي وهو مشترك تقريبا بين كل أفراد المجتمع، فغالبية الجزائريين مسلمون يشتركون في أداء الطقوس وبعض الشعائر كالصلاة، مثلا، الصوم، والأعياد الدينية...الخ، ومن الناحية المعنوية، يشتركون في تلك التصورات والقيم السائدة المتداخلة فيما بينها، والتي تظهر على شكل أعراف وأخلاق...[18]، في هذا الصدد نجد غيلنر أيضا وضح هذا حين فرق بينه وبين إسلام الصفوة وهو إسلام العلماء (الفقهاء)، الموجود بالحضر، وإسلام العامة أو التدين القبلي أي الشعبي، حيث يعتمد الأول على القرآن وتفسيره والسنة وشرحها، أما القبلي، فهو موجه نحو الطقوس والعبادات لا القوانين.[19]

بالإضافة إلى بعض الممارسات كزيارة الأضرحة أو ما يعرف بـ Le maraboutisme[20] وما يسمى أيضا بالصوفية الطرقية التي كانت منتشرة ولازالت في كل البلاد الإسلامية، أما في الجزائر فهي تتجلى من خلال الطرق الصوفية كالرحمانية، القادرية، والتيجانية وغيرها، وهي تتخذ من الزوايا مراكز للتلقين والتعليم... الخ، وهي كلها أشكال لها قواعد شعبية تندرج بإطار التدين الشعبي.

2 التدين الرسمي:

أما الدين الرسمي أو دين السلطة: يتجلى من خلال المؤسسات الدينية التي تشرف عليها الدولة، هذه الأخيرة تتبنى الإسلام دينا لها، وانطلاقا من ذلك تعتبر المؤسسات الدينية في الجزائر جهازا إيديولوجيا من أجهزة الدولة المتعددة والمختلفة، بدءا بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف التي تشرف على المساجد، والمسجد الإسلامي الأعلى وغيره من المنظمات والمؤسسات التي تتخذها أساسا لتمرير إيديولوجيتها وسياستها، ولا تقف الدولة عند هذا القدر فقط، بل يشكل الدين الشعبي أيضا، ركيزة تستند عليها لأجل

[18] مجموعة مؤلفين، الإسلام والسياسة، مرجع سابق ص 07

[19] سامي زبيدة، أنثروبولوجيا الإسلام مناقشة ونقد لأفكار ارنست غيلنر – دار الساقي ، بيروت ، لبنان ط 1، 1997، ص11

[20] زيارة الأضرحة مستهجنة عند بعض النماذج التدينية الأخرى كالسلفية بكل فروعها.

تثبيت مشروعيتها[21] مثال ذلك ما لاحظناه في السنوات الأخيرة، حيث كانت هناك عملية إحياء للعديد من الزوايا والطرق الصوفية من طرف أعلى المسؤولين بالبلاد، والتي كانت مهمشة لفترة طويلة نتيجة تصاعد الحركات الإسلامية بشتى أنواعها والتي قامت بإضعافها، بالإضافة إلى حضور العديد من الشخصيات السياسية والدولية في حلقاتها.

هناك كذلك نماذج تدينية أخرى صعدت وتنامت في التاريخ الحديث للجزائر وهي ما يسمى بالأصوليات الإسلامية أو السلفية بشتى أنواعها. لقد ظهرت بالعالم الإسلامي منذ نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 إلى غاية القرن 20 كرد فعل على المستعمر الأجنبي، وعلى بعض العقائد الدخيلة على الإسلام، فنجد مثلا السلفية الوهابية التي ولدت بالسعودية، والسلفية الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وجمعية العلماء المسلمين بالجزائر، وسلفية جماعة الدعوة والتبليغ، التي ولدت كرد فعل على الهندوسية والسيخية بالهند وسلفية الإخوان المسلمين والتي ظهرت في مطلع القرن 20 وغيرها. وكلها حركات دينية سميت بالسلفية أو الأصولية الإسلامية كونها كانت تنادي بالعودة إلى الأصول.

ثانيا: نبذة تاريخية عن التيارات الفكرية السلفية الراهنة:

نذكر أهم تيارين فكريين: التيار الفكري العلمي، والتيار الفكري الجهادي.

1. السلفية العلمية:

الإحياء الأول للمدرسة السلفية:

يمكن أن نرد جذور السلفية العلمية إلى الإمام أحمد بن حنبل لما قام بالإحياء الأول للعلوم الإسلامية، حين قام يدعو الناس إلى ما كان عليه الصحابة بعد ما فتن المعتزلة الناس بالكلام في الأسماء والصفات إلى أن وصلوا إلى خلق القرآن، تلك الفتنة التي كان الإمام أحمد بن حنبل يقول فيها ائتوني بشاهد من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقول لكم بما تريدون، معنى ذلك أن الإمام أحمد رد الأمر للقرآن والسنة. أي: أن أحمد بن حنبل كان عمله رد فعل لما أدخلته المعتزلة على المسلمين، وبالذات بعد أن تولاهم الخلفاء العباسيون: المأمون ومن بعده من تلبيس يفسد عقائد الناس ويخرجهم عن السبل التي كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

[21] مجموعة مؤلفين، الإسلام والسياسة، مرجع سابق، ص 07

الإحياء الثاني للمدرسة السلفية:

مضت قرون إلى أن احتاجت السلفية إلى أن تُجدد من جديد على يد شيخ الإسلام كما يلقب أحمد ابن تيمية، لما كانت البدعة قد تفشت في بلاد المسلين ولاسيما الشام ومصر، وأصبح ظاهرا غير المسلمين في مقامات أعلى من المسلمين، والمنحرفون لهم أماكن مرموقة عند الحكام فكان لابد أن يقوم أحد ليعيد لهذا الدين رونقه وإلى أصل العقيدة صحتها فقام ابن تيمية بالإحياء الثاني للمذهب السلفي، وهو إحياء كالإحياء الأول كان رد فعل لشيوع البدعة، الأول كان رد فعل لشيوع المخالفة للسنة التي جاءت بها المعتزلة، والثاني كان رد فعل لشيوع البدع في بلاد الشام وبلاد مصر التي كان يعيش بينها ابن تيمية، وقد امتحن وسجن في سجن يصفه بأوصاف قبيحة، ويصف المساجين من غير المسلمين بأنهم يأتيهم الهواء النقي والطعام الزكي، ويأتيهم أهلهم في كل حين، قال: أما نحن فممنوعون من صلاة الجماعة بل الجمعة بل من قراءة آية من القرآن إلا ما حفظنا.

فابن تيمية أقام نهضته السلفية على أساس رد العدوان الذي كان واقعاً على العقيدة من البدع والخرافات ومن هجوم غير المسلمين على الإسلام ومن هجوم بعض اتباع المذهب الشيعي على مذهب أهل السنة والجماعة لذلك اتخذ أربعة أسس لمذهبه:

الأول: إن العقل مهمته الكشف عن الحق وتبيينه لا إنشاؤه، فالحق ينشأ بالوحي والعقل يبيّنه ويؤيده بالحجج.

الثاني: المعرفة ينبغي أن تكون لهذا الحق لا للرجال القائلين به.

الثالث: إن الانتماء لا يكون إلا للقرون الخيّرة الثلاثة.

الرابع: نبذ التعصب ولو كان للآباء والشيوخ، فعنده لا يجوز التعصب لأحد وكل من أخطأ وجب تبيين الحق له ودعوته إلى الرجوع إليه.

الإحياء الثالث للمدرسة السلفية كان للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان إحياؤه أيضاً رد فعل على بدع وخرافات سادت في المنطقة التي كان فيها، ولكن كان إحياء ابن تيمية إحياء تعليمياً وإحياء ابن حنبل من قبله إحياء مقاومة للسلطان الطاغي ووقوفه في وجه المعتزلة الذين كانوا أنصاراً لهذا السلطان بالحكمة والبيان والقرآن والصبر على السجن والتعذيب، وقال لما طلب منه أن يسامح الخليفة قال: لقد سامحته مع أول سوط أصاب ظهري. هذان الإحياءان احياَء هداية بالعلم وصبر على المحنة، أما إحياء محمد بن عبد الوهاب فقد تجاوز ذلك، بلّغ الدعوة إلى ما عرفه بأنه الحق، ووصف الذين يدّعون العلم بالجزيرة بأنهم لم يعرفوا حقيقة الكتاب ولا حقيقة دين محمد عليه الصلاة والسلام، ودخل في حروب صغيرة في المنطقة إلى أن استقر له الأمر بالاتفاق مع ابن سعود، وهكذا تحولت الدعوة السلفية لأول مرة إلى حليف للقوة ثم إلى حليف للدولة، فدعوة السلفية عند ابن حنبل كانت خصومة دائمة مع الدولة، وكذلك دعوة ابن تيمية ولم يلق منها إلا السجن والتنكيل والتعذيب، أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد أجرى تحالفاً مهماً مع الدولة، بين السلطة والدعوة، بين القوة والكلمة، بين من يدعو الناس وبين من يملك حمل الناس

على ذلك الحق، وبذلك أنشأت الدعوة السلفية الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة ولا يزال اللقاء والتعاضد والتحالف بين الدعوة السلفية وبين المملكة العربية السعودية الحالية قائماً.

2. السلفية الجهادية:

يرتبط الفكر الجهادي بالعنف ضد الآخرين ممن يخالفونهم في الرأي، وأسوأ أنواع العنف ما كان بدافع ديني، يغذيه رصيد عقائدي أو مذهبي، بخلاف، العنف الذي يعود لأسباب نفسية بحتة كالحسد أو جذور اجتماعية كاختلاف الوطن أو الشعب أو القبيلة أو الفئة أو نحو ذلك...فأخطر أنواع العنف على الإطلاق تلك المدعومة بفكر ديني حيث يمارسه صاحبه وهو يرجوا من ورائه الجنة ورضا الرب عز وجل، وقد يكون في الحقيقة أبعد عن رضا الرب سبحانه وأقرب لسخطه ومقته، قال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً}. (الكهف:103، 104)

كما يرتبط الفكر الجهادي بالتنطع وعدم التوازن في فهم الأشياء ثم الحكم لها أو عليها، على تفاوت في اختلال ذلك التوازن.

نحاول قدر المستطاع أن نجمل خلفية تاريخية فكرية ليسهل علينا بعد ذلك بيان ما لها وما عليها، بأكبر قدر ممكن من الإنصاف: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} (الأنعام: 152)

بدأت السلفية الجهادية مع حرب أفغانستان..على يد المجاهدين العرب... وقد مرت بمراحل كثيرة قبل أن تتطور لتؤول إلى شكلها الحالى.. بدأت على يد الشيخ عبد الله عزام الذي يحظى باحترام وحب أكثر التيارات الإسلامية، غير أن عاطفته الجهادية الجياشة، ربما انحرفت بالكثيرين عن منهجه الوسطي.

كان لا يرى في غير الجهاد سبيلاً... جاء في وصيته "لقد ملك حبُّ الجهاد عليّ حياتي ونفسي ومشاعري وقلبي وأحاسيسي، إنَّ سورة التوبة بآياتها المحكمة التي مَثَّلث الشِّرْعَةَ النهائية للجهاد في هذا الدين وإلى يوم الدين لتعتصر قلبي ألماً، وتُمزِّق نفسي أسى وأنا أرى تقصيري وتقصير المسلمين أجمعين تجاه القتال في سبيل الله". ويضيف عزام في مقطع اخر "إني أرى أنَّ كلَّ مسلم في الأرض اليوم منوط في عنقه تبعة ترك الجهاد (القتال في سبيل الله) وكلُّ مسلم يحمل وزر ترك البندقية، وكلُّ من لقي الله –غير أولي الضرر– دون أن تكون البندقية في يده فإنَّه يلقى الله آثماً، لأنَّه ترك القتال، والقتال الآن فرض عين على كل مسلم في الأرض غير المعذورين. وترك الفرض إثم، لأنَّ الفرض ما يثاب فاعله، ويحاسب أو يأثم تاركه." ويكمل في جزء ثالث من الوصية "والناس كلُّهم آثمون بسبب ترك القتال، سواء كان القتال في فلسطين، أو في أفغانستان، أو في أية بقعة من بقاع الأرض التي ديست من الكفار، ودنست بأرجاسهم."

وطبعاً هذا الكلام مشحون بعاطفة قوية، وصدق لهجة لا مرية في ذلك، لكن محتاج لتدقيق علمي؛ لأن الجهاد في الوقت الحالي لا يمكن أن يختزل في حمل البندقية، فأين منازلة الباطل في مجالات الحياة المختلفة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية.

وقد استطاع عزام أن يكوّن مدرسة لجميع المجاهدين العرب الذي قدموا للجهاد في أفغانستان في أوائل السبعينات، وأن يحتويهم ويغرس فيهم عشق الجهاد ويقلل من الخلافات بينهم. لكن للأسف بعد وفاته دبت الخلافات بين المجاهدين، وكانت اللغة الحاسمة بينهم لغة الحروب والبندقية التي امتلأت أنفسهم حبا لها.

كان عزام يعتبر اللبنة الأولى والمعلم والمفكر الذي تعلم منه أغلب من أتى الى أفغانستان في خلال حربها الأولى مع الاتحاد السوفايتي للجهاد، فقد كانوا يعدونه المعلم والمرشد في هذه الفترة بما فيهم بن لادن نفسه كان يعتبره أستاذاً له. الأمر الذي جعله يعمل في فترة الحرب التى استمرت عشر سنوات (1979–1989) بكل قوة لتنظيم المجاهدين وتوحيد صفوفهم وإقامة معسكرات التدريب لهم، وكان يدعم ذلك بكل ما يملك، وخصوصاً بالمال لشراء السلاح.

بعد الحرب وانتشار الخلافات بين المجاهدين عاد بن لادن إلى السعودية حيث فَرضت عليه السلطات الإقامة الجبرية هناك بسبب هجومه القوي على الوجود الأمريكي في الخليج بعد غزو العراق للكويت وما تبعها من حرب تحرير الكويت واستطاع الهرب من هذه الإقامة ليرحل الى السودان في العام 1992 ليمكث هناك أربع أو خمس سنوات .. وفي هذه السنوات حدثت عدة عمليات من أهمهما قتل جنود أمريكين كانوا في اليمن في طريقهم للصومال، وتفجير سفارة أمريكا في كينيا وتنزانيا.. وعدة عمليات أخرى ضد أهداف أمريكية... وبحلول منتصف التسعينات دعا بن لادن إلى حرب عالمية ضد الأمريكان، ومن ثم غادر السودان في عام 1996 عائداً الى افغانستان مرة أخرى... بسبب علاقته القوية مع طالبان وأميرها الملا عمر... وفي عام 1998 أصدر فتواه الشهيرة بإعلان الحرب على أمريكا...

وفي افغانستان لحق أيمن الظواهري زعيم جماعة الجهاد المصرية بأسامة بن لادن...وأيمن كان شديد الكره للأنظمة العربية المقهورة تحت السيطرة الأمريكية، وعلى رأسها النظام المصري، مما دعاه لإنشاء جماعة الجهاد في مصر.. التى قامت باغتيال السادات... مكث الظواهري ثلاث سنوات في السجن بعد اغتيال السادات.. يروي فيها اصدقاؤه ومن مكث معه في السجن أنه كان أقل المعتقلين تحملاً للتعذيب واعترف عن كل شئ بتعذيب بسيط...ليشعر بعدها بعقدة ذنب تجاه تنتظيمه فغادره إلى افغانستان.... وهو يحمل بين جنبيه كره شديد للإخوان المسلمين.. ومازال حتى الآن يعتبر فكرهم فكرا استسلاميا وانهزاميا ومداهناً للأنظمة العربية...

كان النقطة المحورية لخلاف الظواهري مع بن لادن وفكر شيخ المجاهدين عزام مقولة: العدو القريب قبل البعيد.. اذ يرى الظواهري ان الأولي بالإزالة الأنظمة العربية بقوة البندقية، ثم إقامة الدولة الإسلامية، ثم التفرغ للعدو البعيد... بينما كان عزام رحمه الله يرفض مطلقاً العمليات في الدول الإسلامية... وبن لادن كان بين الاثنين غير إنه لم يكن يحبذ إلى حد كبير العمليات داخل الدول الإسلامية..

كما يعتمد الفكر السلفي الجهادي بشكل كبير على فكر سيد قطب متأثرين بما قاله عبدالله عزام: " وإني لأشعر بفضل الله العظيم علي، إذ شرح صدري وفتح قلبي لدراسة كتب سيد قطب، فقد وجهني سيد

قطب فكرياً وابن تيمية عقدياً وابن القيم روحياً والنووي فقهياً، فهؤلاء أكثر أربعة أثروا في حياتي أثراً عميقاً" . فابن تيمية وسيد قطب أكثر من تستدل بهم السلفية الجهادية....لأن ابن تيمية كان شديدا على الشيعة، وسيد قطب نظرة للمجتمع الجاهلي..

علاقة بن لادن بعبد الله عزام.

يقول بن لادن في لقائه مع تيسير علونى مراسل الجزيرة... والذين عاشوا الساحة يعلمون مدى الصلة القوية بيني وبين الشيخ عزام، والترهات التي يذكرها بعض الناس لا أساس لها من الصحة ولم يكن هناك تنافس.. والشيخ عبدالله كان مجاله في باب الدعوة والتحريض...ونحن كنا في الجبال وهو يرسل إليّ الشباب ونأخذ بتوجيهاته حول ما يأمرنا به.

بعد الحادي عشر من سبتمبر ومباركة بن لادن لها وإعلان تنظيمه المسئولية عنها .. وما تبعها من غزو أمريكي لأفغانستان ثم بعدها بسنتين غزو العراق.. بدا الفكر السلفي الجهادي بالانتشار الى حد كبير وصار له عشرات المؤيدين على الانترنت...خصوصاً مع انشاء جماعة التوحيد والجهاد التى تمثل القاعدة في العراق ثم تحولها الى مجلس شورى المجاهدين وأخيراً الى ما يسمى بدولة العراق الإسلامية...

في خلال هذه السنوات ما بين (2002–2007) واصل الفكر السلفي الجهادي انتشاره خصوصاً وأن أغلب جماعات المقاومة في العراق تتبع الفكر السلفي الجهادي على اختلاف في وجهات النظر بينهم.

هذه خلفية تاريخية سريعة عن بدء تكوّن السلفية الجهادية التى نشأت على يد المجاهدين العرب.

أولا: دراسة في المصطلحات:

مصطلح السلف: السلف مصطلح إسلامي، يشير إلى المسلمين الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى من ظهور الإسلام، والذين جاء الثناء عليهم في قوله صلى الله عليه وسلم: (خير القروني قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم). قال عمران راوي الحديث (لا أدري أذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنه قرنين أو ثلاثة).

1. لغة:

السلفية من كلمة سلف والتي تعني في اللغة العربية ما مضى واقتضى. وسلف، جمع أسلاف، كل واحد من أهل الإنسان الذين ينحدر منهم.[22]

[22] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق بيروت. الطبعة الثانية، 2001

2. اصطلاحا:

يقصد بالسلف صحابة النبي ﷺ والأوائل من الخلفاء الراشدين المعروفين في التاريخ الإسلامي، وأشهرهم أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، بالإضافة إلى التابعين وتابعي التابعين. هؤلاء من يمثلون الأجيال الثلاثة الأولى يسميهم الفقهاء بـ " السلف الصالح"، حيث يعتبرون الإطار المرجعي والعصر الذهبي للإسلام، فهم القدوة والنموذج الذي يجب أن يحتذى به، وذلك لما يميزهم من تقوى، وورع، ونشرهم للرسالة المحمدية في العديد من الأصقاع، وانطلاقا من كل هذا أسس مجموعة من الثيولوجيين في الإسلام علاقة سببية بين إيمان السلف والنجاح العسكري والسياسي آنذاك للمسلمين[23]، ومن هؤلاء نجد الإمام الفقيه الذي أسس لهذه الفكرة أحمد بن حنبل (780–855)، مؤسس المدرسة الحنبلية وهي واحدة من المدارس السنية الأربعة على غرار المالكية والشافعية والحنفية، وهي عبارة عن مدرسة فقهية تقليدية تراثية، أكثر انغلاقا أمام المبتكرات والمستجدات[24]، فقد كان مؤسسها الإمام أحمد بن حنبل من أكثر المعتمدين على الحديث في بنائه للشريعة[25]، وقد برز مذهبه كرد فعل على العقل اليوناني الذي كان يمثل بالنسبة إليه خطرا على الإسلام وأصوله[26]، كما كان أكبر مقاوم للاعتزال[27]، حين أعلن الخليفة المأمون خلق القرآن عارضه الإمام، وسجن لأجل ذلك وعرفت في التاريخ بمحنة الإمام أحمد. ثم تبلورت السلفية في إطار سنية متشددة مع الإمام أحمد بن تيمية، (1263–1328) في أواخر الحكم العباسي، وقد كانت كرد فعل على ما كانت تواجهه الخلافة الإسلامية آنذاك سياسيا واجتماعيا، خاصة غزو المغول (التتار) وسقوط بغداد، حيث دعا إلى إعادة إحياء عقيدة السلف، وتحرير الأذهان مما علق بها من شوائب وعقائد فاسدة، وحمّل أهل البدع من صوفية، قدرية، وباطنية وفلاسفة، مسؤولية السقوط والانحطاط[28].

وتتجلى سلفية ابن تيمية في محاولة تأصيله للإسلام السني، من خلال القرآن والسنة، وكما ترجمتها الحياة في المدينة في الجيلين الأولين، ولا ضير أن يضاف الثالث والرابع[29]، وأن العقائد لا تؤخذ إلا من

---

[23] Samir Amghar ,op.cit.p198

[24] 3AnneMarie Delcambre, l'Islam, éditions La Découvert, Paris France ,1991 p 70

[25] هشام جعيط، أزمة الثقافة الإسلامية. المركز الثقافي العربي ، الط الأولى ،بيروت لبنان ، ص 78

[26] كمال عبد اللطيف، أسئلة النهضة العربية، مركز دراسات المحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2003 ص 203

[27] هشام جعيط، المرجع السابق ص 78

[28] كمال عبد اللطيف، المرجع السابق ص 203

[29] حسن سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصر ة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت ص88

النصوص، لا بالعقل، لأن العقل يضل، وغيرها من الأساليب هي مستحدثة في الإسلام ولم تكن معروفة عند السلف الصالح (الصحابة والتابعون).

لتبرز هذه الفكرة مرة أخرى والداعية للعودة للسلف، مع الإمام محمد ابن عبد الوهاب (1720–1792)، كامتداد للمذهب الحنبلي والفكر التيمي (أحمد بن تيمية) بشبه الجزيرة العربية، وقد ظهرت هي أيضا، كرد فعل على الانحطاط الذي كانت تمر به الخلافة العثمانية، وهيمنة النموذج الغربي عليها، وبالتالي تحديه للسلطة العثمانية التي كانت آنذاك تدعم السنة لا كما يفهمها السلف، بل كما آلت إليه من خلال العصور، هذا من جهة، وكإصلاح ديني لما كان يسود القبائل العربية من خرافات وسحر، وتقديس للأضرحة، من جهة أخرى.

بالإضافة إلى محاربة التشيع بشبه الجزيرة العربية، وكان الحل بالنسبة إليه العودة والرجوع إلى الدين في أصوله (القرآن والسنة) وتحرير الأذهان من البدع، والهرطقات والمذاهب الأخرى، وقاده ذلك إلى عنف وصراع وحروب خاضها مع صهره محمد بن سعود، وقد أدى ذلك فيما بعد إلى تأسيس دولة سعودية وهابية تحت حكم آل سعود سنة 1933[30].

ومن خلال ما سبق، يمكن القول أن السلفية ابتدءا من الإمام أحمد ابن حنبل مرورا بابن تيمية وصولا إلى محمد بن عبد الوهاب، قد ظهرت في فترات تاريخية عانت فيها الدولة الإسلامية من انحطاط ومواجهة الأزمات، لتطالب بالعودة إلى دين الأسلاف. هذه الحركة لم يكن من أهدافها إصلاح اقتصادي أو سياسي أو اجتماعي، إنما الإصلاح بالنسبة لها هو الرجوع إلى دين السلف.

وقد قدم الباحث فهمي جدعان ملخصا عاما عن السلفية نبرز أهم ما جاء فيه فيما يلي:

–الرجوع إلى الكتاب والسنة.

–مناهضة الإحداث في الدين المتولد من الأخذ بالرأي والقياس.

–نبذ التأويل العقلي.

–التعلق بوحدة الجماعة والطاعة للسلطان.

[30] حسن سعد، المرجع السابق ص 95

-الاقتداء بالخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين.

-التسليم بالغيبيات.

-تقديم العلم النافع دينيا على كل العلوم الأخرى[31].

3.3. خصائص الظاهرة السلفية:

-اللباس:

لا يعتبر اللباس مجرد وسيلة لستر الجسم، بل يحمل دلالات ثقافية وهوياتية عميقة ومعبرة كذلك عن الشخصية، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات له نماذج متعددة من الألبسة التي تميز أفراده من الرجال والنساء، وهذا التعدد هو نتيجة لتعدد الأعراق والثقافات المحلية، بالإضافة إلى الزي الغربي وهذا بطبيعة الحال كنتيجة لهيمنة الثقافة الغربية على المجتمع الجزائري. بيد أن الظاهرة السلفية كغيرها من الظواهر الوافدة جلبت معها نمطا معينا من اللباس، لم يكن معروفا بالمجتمع الجزائري من قبل، حيث أصبحنا نلاحظ أفرادا بعضهم رجال يرتدون أثوابا قصيرة فوق كعبي القدمين تسمى بالقميص وما يعرف بنصف الساق، والذي يمثل حسب رأيهم التزاما بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهن من النساء يرتدين ما يسمى بالجلباب والنقاب (السدال) واللباس الشرعي الصحيح بالنسبة لهم،-إنه عبارة عن لباس سعودي وما عداها من الألبسة فهي تشبه بالكفار ويستدلون في ذلك بالقرآن، فكلمة "الجلباب" أين تم ذكر كلمة جلابيب بالقرآن الكريم.

المرجعية الدينية:

اتخاذ رموز الدعوة السلفية الوهابية كمرجعية، وذلك من خلال الاستدلال بأقوالهم، كناصر الدين الألباني ومحمد ابن صالح عثيمين، وعبد العزيز ابن باز، ومحمد بن عبد الوهاب... أي المذهب الحنبلي بصفة عامة، ورفض كل ما لا ينتمي لهذا المذهب كما تصف نفسها بالطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية.

التركيز على موضوعات من بينها، أمور العقيدة والتوحيد والعبادات، اللباس، الاختلاط، الموسيقى، المرأة، والابتعاد عن المشاركة السياسية أو الحزبية.

[31] كمال عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 203

4.3. الخطاب السلفي الوهابي:

يحتل هذا الخطاب مساحة كبيرة من بين مجموع الخطابات الأخرى التي تقدمها الحركات الإسلامية بالعالم. هذا الخطاب الذي في مجمله يركز على موضوع العقيدة الإسلامية وهي عقيدة التوحيد وحمل على عاتقه مهمة تخليصها من الشوائب والبدع التي علقت بها سواء اليوم أو على مر العصور، ويقدم هذا الخطاب على أنه البديل الأصح والحقيقي الذي يمثل أهل السنة والجماعة وهي الطائفة المنصورة والفرقة الناجية من النار مستندا في ذلك على الحديث النبوي التالي "لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله"[32]وحديث آخر، أخبرنا القاضي أبو محمد بن عبد الله بن عمر المالكي قال: حدثنا أبي عن أبيه قال حدثنا الوليد بن مسلم قال:

حدثنا الأوزاعي قال: حدثنا قتاة عن أنس عن النبي قال: " إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة."[33]

ما يهمنا في بحثنا هذا هو موقف التيار السلفي اتجاه الموروث الثقافي الذي احتل المساحة الأكبر والأهم في بحثنا هذا، فيقدم بعض المواقف الناجمة عن الخطاب الديني لأجل تدعيمها ومنها:

قضية الحجاب حيث يقدم نموذجا واحدا موحدا لغطاء المرأة مسقطا كل الأنواع الأخرى وهو عبارة عن غطاء كلي يحجب المرأة بما في ذلك وجهها ويوضح كتاب جلباب المرأة المسلمة للشيخ ناصر الدين الألباني ذلك ويقول الشيخ ابن باز "الجلباب ما تضعه المرأة على رأسها والتستر به، أمر الله سبحانه وتعالى جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبهن على محاسنهن من الشعر والوجه وغير ذلك ...قال علي بن أبي طلحة عن أبي عباس: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينا واحدة[34] وهو الجلباب السعودي ما يرتدينه السلفيات اليوم.

كما يفصل هذا الخطاب بين فضائين: فضاء عام للرجال وفضاء خاص تلزمه المرأة وهو البيت الذي يعتبر مملكتها، فالحجاب لا يقتصر على جسد المرأة فقط، وإنما يتعداه وهو حصرها بالدائرة المنزلية

---

[32] الإمام عبد العزيز ابن باز وآخرون ، 500 جواب في العقائد، دار ابن حزم

[33] عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، الفرق بين الفرق ، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية ، القاهرة، مصر، ص 13

[34] الإمام بن باز وآخرون ، مرجع سابق صص 6-7

الخاصة بها وتوضيح مهامها التي تختلف عن مهام الذكور، كأعمال البيت وتربية الأولاد، والعطف والحنان، وترك المرأة لهذه الأمور يعد خطرا على الأسرة وعلى الأبناء[35].

ويرى هذا الخطاب خطرا في خروج المرأة للعمل لأنها تشارك الرجل في فضائه، مما يسبب ذلك الإختلاط والذي ينتج عنه فساد وانحلال خلقي وقع فيه الغرب أولا.

أما في مسألة التعليم فهو يؤكد على الفصل بين الجنسين والفصل في نوعية التعليم فالبرامج المقدمة للإناث ليس نفسها التي تقدم للذكور حيث يحدد هذا الخطاب ما يناسبها كتعليم الصغار، الطبابة والتمريض بالإضافة إلى الأعمال الخاصة بالنساء كالخياطة ...الخ، كما لا يسمح بخروج المرأة إلا بشروط وهي برفقة محرم[36].

إن الخطاب السلفي الوهابي لا يأخذ من أولوياته القضايا العامة التي تخص المسلمين سواء السياسة، أو الاقتصادية أو الاجتماعية من محاربة الفساد مثلا، أو قضايا تخص الشعوب الإسلامية المضطهدة بفلسطين وغيرها، انه خطاب يبرر سياسة العديد من الحكومات والهيمنة الصهيوأمريكية.

ثالثا: أهم معالم التيار السلفي بشقيه العلمي والجهادي:

1. **السلفيون وإنكار الخلاف:**

2. إنكار الخلاف، أو التضييق من نطاقه، وتقديم العديد من القضايا الخلافية على أنها قضايا إجماعية، أي قد أجمع عليها العلماء، أو أن الخلاف فيها ضعيف لا يعتد به معلم بارز في المنهج السلفي المعاصر، هذه القرون الثلاثة التي ينادي السلفيون بالرجوع إليها شملت ووسعت آراء ومذاهب، ولم تكن رأياً واحداً ولا مذهباً واحداً ولا اجتهاداً واحداً، شملت رخص ابن عباس، وعزائم ابن عمر، وأثرية ابن حنبل، وعقلانية أبي حنيفة، وظاهرية ابن حزم ،ومقصدية مالك، ورقائق الجنيد... كان كل هذا يعبر عن الانتماء إلى منهج السلف الذي لم يكن رؤية واحدة، الخطأ أن السلفية المعاصرة حولت هذا المفهوم الواسع لسلفية المنهج إلى سلفية مذهبية، جعلت مشروعيتها تتأسس على الإمام أحمد، ثم الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ثم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كأنما مشروعية الانتماء إلى السلف الصالح تتأسس على هذه المرجعية فقط، وهذا ليس بسديد، هؤلاء جملة من أعلام الأمة الكرام المجددين المصلحين، لهم فضلهم ولكن لا عصمة ولا قداسة لآرائهم ولا لاجتهاداتهم، كشأن سائر الأئمة المتقدمين منهم والمتأخرين.

---

[35] عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله ، مكتبة المعارف ، الرياض،السعودية 1986

[36] بوعلي ياسين ، حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة ،دار الطليعة الجديدة ، دمشق سوريا ، ط1 1998صص 81-82

2. السلفيون والدليل النصي:

لو قلت لأحد السلفيين الشمس تظهر في رابعة النهار... لأجاب: آتني بدليل من الكتاب والسنة، يُثبت أن الشمس تظهرُ في رابعة النهار !! .. قد يكونَ في هذا القول مبالغة، إلا أننا أردنا أن نشير به إلى درجة اتكاء الجيل الجديد من السلفيين على النصوص وتهميش دور العقل في الاجتهاد فيما لا نص فيه، لذلك فهم يضعون بعض القواعد الأصولية التي لا تصح على إطلاقها مثل قاعدة (لا اجتهاد مع وجود النص)، ثم يتناسون أن هذه القاعدة مثلاً، لا تستمر في مجال تنزيل النص على الوقائع، حيث يكون الاجتهاد في تبين مدى انطباق النص على الواقعة، ويكون الاجتهاد أيضا في إطار النصوص الظنية، ترجيحا لبعض المحتملات.

3.السلفية والواقع:

السلفيون عندما يسعون إلى تفسير النصوص يلغون الزمان والمكان ومقتضيات الظروف، التي واكبت النص نفسه. وَقَدْ قَال عُلَمَاءُ الْحَنَفِيَّةِ في اختلاف أبي حنيفة وصاحبيه في مسألة السؤال عن العدالة: إِنَّ الْإِختِلاَفَ بَيْنَهما لَيْسَ اخْتِلاَفًا حَقِيقِيًّا ، بَل هُوَ اخْتِلاَفُ عَصْرٍ وَزَمَانٍ ، فَإِنَّ النَّاسَ فِي عَهْدِهِ كَانُوا أَهْل خَيْرٍ وَصَلاَحٍ؛ فَكَانَ الْغَالِبُ فِي أَهْل زَمَانِهِ الصَّلاَحَ وَالسَّدَادَ، فَوَقَعَتِ الْغُنْيَةُ عَنِ السُّؤَال عَنْ حَالِهِمْ فِي السِّرِّ، ثُمَّ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ وَظَهَرَ الْفَسَادُ فِي قَرْنِهِمَا، فَوَقَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَى السُّؤَال عَنِ الْعَدَالَةِ. ومما شاع من أقوال الفقهاء أن الاختلاف نوعان: اختلاف عصر وزمان واختلاف حجة وبرهان.

4. السلفيون والآخر:

تعتمدُ نظرة السلفيين إلى الآخر على تقسيم العالم إلى قسمين: (دار حرب)، و(دار إسلام)، وبالتالي تقسيم الإنسانية جمعاء إلى صنفين: (كفار)، (ومسلمون). والمسلمون إلى أهل السنة والجماعة والرافضة، وهناك من ينتسب للإسلام وهو علماني كافر وهناك من ينتسب للإسلام وهو مداهن منافق، وهناك المسلمون الذين يعيشون بين ظهراني الكافرين في الغرب، وهؤلاء يرى بعض أقطاب التيار المتشدد من السلفيين إنهم (موالون) للكفار، بمجرد استيطانهم، وموالاة الكفار في الفكر السلفي تعني مساسا بالعقيدة...وهكذا يؤول الأمر إلى وضع علامة استفهام أمام الجميع، ما عدا جماعتهم، وهذا لا يتناسبَ مع المبدأ الإسلامي في التعاون بين الأمم، وأن الأصل هو التعامل مع الآخر لا الصراع معه.

5. السلفيون والماضي:

هناك مفصل هام في هيكلية الذهنية السلفية، وهو انشداده إلى الماضي، وكرهه للحاضر، وخوفه من المستقبل. فالزمن في الذهنية السلفية عبارة عن (منحنى)، يبدأ من عهد النبوة، ثم ينحدر مع الأيام، ليصبح الأمس هو أفضل من اليوم، والغد هو الأسوأ مقارنة باليوم، فبم يبشر هؤلاء؟

6. السلفيون والفكر الرغبوي:

التفكير الرغبوي ضربٌ من التفكير الذي تُسيطر على ذهنية صاحبه رغباته، وتستعبده أمنياته، فلا يستطيع لذلك أن يرى الأمور بواقعية، ولا أن يُحللها بموضوعية وعدالة، فهو لا يريد أن يقتنع إلا بما يتوافقُ مع عواطفه وما يتمنى أن تكون عليه الأمور، ويتهربُ عادة من التفكير المنطقي السليم إذا كانت نتيجة هذا التفكير تتناقض مع طموحاته المبدئية، ولعل ذلك من أهم الأسباب التي جعلتهم يحرمون دراسة وتعلم المنطق والفلسفة، بحجة أنها علمٌ لا ينفع وجهل لا يضر، أو كما قال ابن تيمية:" لا يحتاجها الذكي ولا يفهمها الغبي". كذلك ترى السلفي انتقائياً في الاستدلال، ينتقي من الأدلة ما يتوافق مع أهوائه، ويترك، أو يتجاوز، أو يُضَعف، كل الأدلة الأخرى التي تدل إلى عكس ما ذهب إليه. ولأنه كذلك، تجد أن سياق خطابه بعيداً عن العقلانية، مُفعماً بالعواطف، لا يصمد طويلاً أمام النقد العقلي، أو المنهجي..

وكما ترون، لا يمكن لهذا المنهج اللاعقلي أن ينتج حلاً حضارياً، قادراً على خلقِ البواعث والأسباب التي من شأنها إفراز حضارة حقيقية قادرة على المواكبة والمنافسة، وإقالة تخلفنا وعثراتنا الحضارية.

7. السلفية والتشرذم:

التيارات السلفية تتشابه جميعا من حيث التناقض الغريب بين انتشارها الواسع نسبيا جغرافياً، وضعف تماسكها التنظيمي، فالسلفيون موجودون تقريباً في كل دولة إسلامية وربما في كل مدينة، إلا أن أتباعهم مع ذلك مشتتون مقارنة بالجماعات الإسلامية السياسية، مما يسهل عملية اختراقهم وتوجيههم من قبل أجهزة الاستخبارات المختلفة. خاصة وأن قضية الانتماء لدى السلفيين تتميّز بالسهولة، ولا توجد إجراءات أو ترتيبات، فقط يطلب إعلان الالتزام بالكتاب والسنة وتعظيم الأوامر والنواهي، وبعض الإجراءات الشكلية في المظهر العام وهكذا يصير المرء سلفياً .

8. بين السلفية العلمية والسلفية الجهادية:

يفترض العديد من المحللين والخبراء بأن التيار الجهادي هو مرحلة متطورة للتيار السلفي، وبالتالي تصبح كل جماعة سلفية مشروعاً جهادياً إذا توفرت الظروف الملائمة، وحتى عند عدم توفر الظروف فإن التيارات السلفية العلمية تقدم دعماً بشرياً غير محدود للتيارات الجهادية، على أنه قد يحصل العكس أحيانا، فإن هناك حالات انتقلت فيها جماعات جهادية بأسرها إلى صف التيارات السلفية العلمية، كما هو الحال مع الجماعة الإسلامية في مصر، لكنها حالات محدودة جدا.

السلفية: ما لها:

1- العناية بالعلوم الشرعية: لا شك أن العناية الفائقة من قبل التيارات السلفية بالعلوم الشرعية تدريساً وتعليماً وتأليفاً عقوداً طويلة أفرزت علماء ومتخصصين في الدراسات الشرعية ، لكن كان المتوقع أن تخرج هذه النشاطات العلمية المكثفة أجيالاً من العلماء – القادة – المؤهلين لقيادة الأمة وتوجهها، ولكن بدلاً من ذلك أصبحت التيارات السلفية في كثير من الدول الإسلامية تعاني هي نفسها من أزمة مرجعية علمية، ويفتقد كثير منها إلى علماء بارزين يقودون الحركة أو التيار ويشرفون على عملية التعلم والتعليم بداخلة .

كما أن جل نشاطها يتركز في المساجد وينحصر في الدروس والخطب، وفي مجالات علمية محددة لا تكاد تخرج عن علم العقيدة وما اتصل به...وهكذا تحولت إلى مجرد حركة علمية إن سلمنا لها بذلك- لا حركة تغييرية إصلاحية تهدف إلى الرجوع بالمجتمع إلى الإسلام الحنيف في كافة مجالات الحياة؛ لذلك تحتاج السلفية العلمية إلى تطوير وتجديد، ولعل الحركات الإسلامية التغييرية تلعب دورا مهما في ذلك عن طريق التواصل مع الطاقات الفكرية السلفية، وتبادل الآراء والنقاش معهم حول القضايا المحورية.

2-اختراق المد العلماني المتطرف: استطاعت الدعوة السلفية أن تخترق حتى أكثر الدول العربية تطرفاً في علمانيتها مثل تونس، وإن كان البعض يراه مسطنعا لضرب الإسلام المعتدل، أو على الأقل شغله ببعض المعارك الهامشية والوهمية، ومنهم من يراه إفرازا طبيعيا لسياسة كتم الأفواه وإغلاق المنابر أمام الدعاة الحقيقيين وأمام المشايخ المعتدلين.

3-جهودهم في قمع البدع على اضطراب فهمهم في ذلك وإحياء السنن، على ضيق أفقهم في ذلك.

1. إهدار الطاقات واستنزافها في معارك هامشية:

أ. على المستوى علاقتهم الداخلية: ينصرف جزء كبير من طاقة العمل لدى العديد من التيارات السلفية إلى التعامل مع الإشكاليات الداخلية، والخلافات البينية، وفي بعض الحالات تتفرغ جماعات بأسرها لمهاجمة وانتقاد جماعات سلفية أخرى في قضايا مغرقة في الشكلية والثانوية.

ب. على مستوى تعاملهم مع الآخر من خارج الدائرة الإسلامية: تكفر السلفية عامة التيارات العلمانية، وتبذل في سبيل إشاعة مواقفها التكفيرية المال والوقت والجهد الكثير، أما تكفير الأنظمة فهي مسألة خلافية داخل التيارات السلفية، إلا أن أغلبهم يتفقون على التعاطي مع الدولة وأجهزتها من الناحية العملية، حتى من قبل بعض الذين يكفرونها.

فعلى مستوى التعاطي مع سائر الجماعات الإسلامية وعامة المجتمع، فجهد السلفية وجدالهم في هذا المجال لا يكاد يخرج عن قضايا مكررة محفوظة مثل إرسال اللحية، وقصر الثوب للرجل، والنقاب للمرأة، وبدعة الدعاء بإثر الصلاة، ولا تراهم يهتمون بالتحديات الكبرى للأمة إلا نادرا.

2. السلفية والقوالب الجاهزة:

رغم أن السلفية ليس لها هيكل إداري موحد، بل هي جماعات منتشرة في أنحاء العالم لكل جماعة قادتها، وهم على غير تواصل كامل فيما بينهم، لكن مع ذلك يتفق جميعهم في بعض القناعات العامة، لعل من أكثرها بداهة أن الحكم لله، وأن لا حق لأحد في التشريع غير الله لقوله تعالى: (إن الحكم إلا الله)، (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، وعلى هذا فالمجالس التشريعية عندهم هي مجالس باطلة، وبنوا على ذلك حرمة الاشتراك في انتخابات المجالس التشريعية، بتعلة أن هذه أن الانتخابات ليست مجدية ويحوطها التزوير، وإذا ما نجح الإسلاميون يتم الانقلاب عليهم...وهكذا

3. السلفية وجدلية العقيدة:

والعقيدة لم تكن العقيدة في القرون الخيرة جدلا، فهذا عمر رضي الله عنه لما رأى رجلاً يمتحن إخوانه في بعض آيات الصفات ويسألهم عن معنى قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}( )، علاه بالدِّرة، ولما جاء رجل يسأل عن قوله تعالى: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ }( )، قال عن مثل هذا فاسألوا ... لأن هذا مما ينبني عليه عمل، لذلك قرر الإمام مالك وأخذها الشاطبي عنه في موافقاته أن كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها منهي عنه شرعاً.

4. السلفية وشكلية العبادة:

اللحية الطويلة، الثوب القصير، السواك، كأن هذا جوهر الدين ولبه. ونحن نريد هنا أن نمزج بين سلفية التصوف، وتصوف السلفية: نريد أن نأخذ من التصوف عنايته بالباطن ونأخذ من السلفية مشروعية الاتباع والعناية بالظاهر لأن الدين عبارة من تلازم بين الظاهر والباطن قال تعالى:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، أي نفسك من الذنوب فطهر، وهي كذلك تعني طهارة الثوب كشرط لصحّة أداء العبادة، التصوف وقف عند حد الباطن، ولم يُعن كثيراً بمشروعية العقل، والسلفية ركزوا على مشروعية الظاهر دون تحقيق معاني الباطن، حتى مسألة تقصير الثوب المقصود منها في الحديث أن يتخلق المسلم بخلق التواضع وخفض الجناح وأن ينتفى عنه داء الخيلاء والكبر كما جاء مصرحاً به في الحديث (من جر إزاره لا يريد بذلك إلا المخيلة)، فتجد الواحد يحقق هذا الظاهر ولكن في الباطن لا يحقق معنى التواضع حتى قال ابن الجوزي تجد أحدهم يقصر ثوبه وفي قلبه كبر فرعون. فنحن نحتاج إلى إحكام التلازم بين الظاهر والباطن كما قال الإمام حاتم الأصم في الصلاة فأعطى للظاهر حقه من الاتباع وأعطى للباطن حقه فقال (أتوضأ فأسبغ الوضوء ثم آتي موضع الصلاة بسكينة ووقار فأكبر تكبيراً بتوقير وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعاً بخشوع. هذا حظ الظاهر، أما حظ الباطن فقال: أتمثل الجنة عن يميني والنار عن شمالي والكعبة بين حاجبي وملك الموت فوق رأسي وعين الله ناظرة إلى وذنوبي محيطة بي ثم أتبعها الإخلاص ما استطعت

وأسلم وأنا لا أدري أتقبل صلاتي أم ترد عليَّ هذا هو تلازم الظاهر والباطن الذي ننشده من الطرفين معاً.

5.السلفية والغلظة في الدعوة:

فبعض الشباب السلفي يعتبر أن الغلظة والشدة في الحكم على الناس والتعامل معهم واستخدام الخشونة في ذلك، إذ يعتبر هذا من طباع بعض السلفيين خاصة القدامى منهم، والأصل في الدين هو اللين والرفق والتلطف والبشاشة والهشاشة، لقوله تعالى: أدعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن النفوس بيوت أصحابها فاطرقوها برفق.

6. السلفية والضيق بالخلاف والتطاول على العلماء:

يتمثل هذا في رفضهم المطلق للمذهبية الفقهية، وزعمهم الاحتكام إلى الدليل وهم منه خواء، وقولهم عن الأئمة هم رجال ونحن رجال، وكأنها معركة على الفحولة، ترى أحدهم ربما قرأ آية أو آيتين، وحديثاً أو حديثين، ولم يعرف أصول الفقه، ولم يجلس إلى العلماء، ويدعي أنهم رجال ونحن رجال، ثم يقول لك العمل بالدليل؛ لقد وقعوا في مذهبية أشر من التي هاجموها، ما صححه ناصر الدين الألباني فهو الصحيح، وما ضعفه فهو الضعيف، ما استنبطه ابن باز والعثيمين هو الصواب. فأصبح مذهباً فقهياً جديداً، لذلك نقول إذا عاد الأمر إلى محض التقليد فتقليد المتقدمين خير من تقليد المتأخرين لأن المتقدمين أرسخ علما، ونصع حجة، ولكن نقول الأصل هو تحري العمل بالدليل، فمن لم يكن أهلا لذلك فهو على مذهب مفتيه.

أعتقد أن السلفية تحتاج إلى مراجعة، والرجوح إلى الحق فضيلة تحتاج أن ترد هذا المفهوم الضيق من المذهبية إلى سعة المنهجية، وتتسع لقبول الآراء المختلفة والمخالفة وأن تدرك بأن هذا الاختلاف في الفروع إنما هو رحمة بالنسبة لهذه الأمة وسعة وثروة، ولا يمكن أن يدعي أحد أن ما انتهى إليه اجتهاده هو الحق المطلق، دعوى الحق واحد لا يتعدد، ليست صحيحة، قد يتعدد الحق كما في صيغ الآذان والتشهد والإقامة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم على فرض عدم تعدد الحق لا يستطيع أحد أن يجزم أن اجتهاده هو المطابق للحق الذي هو في علم الله عز وجل، غاية ما يقوله اجتهادي صواب يحتمل الخطأ واجتهاد غيري خطأ يحتمل الصواب.

7. السلفية والعيش على الماضي:

على السلفية ألا تعيش على معارك الماضي: معتزلة وأشاعرة وجهمية ومعطلة ومجسمة دون أن تجابه تحديات العصر، نحن مطالبون أن نعيش لزماننا، وأن نجتهد للمستجدات والنوازل، وكما اجتهد العلماء السابقون لعصرهم أن نجتهد أيضاً لعصرنا، أما أن يظل شعار الانتماء إلى السلف حبس الماضي دون

أن نأخذ من الماضي العبرة لنعايش به الحاضر ونستشرف به المستقبل فإن ذلك ليس من السلفية في شيء، إن ابن تيمية وابن القيم عاشا قضايا عصرهما ولم يعيشا قضايا الأزمنة التي سبقتهما، وإذا أردنا أن نكون مقتدين متبعين لهما فعلينا أن نستصحب المنهج وليس المذهب، فنعيش لعصرنا كما عاشا بتلك السعة. وأخيراً أعتقد أن السلفية انطلقت من لب الدين ولكنها تحتاج إلى مراجعة، وهذه المراجعة تحتاج إلى صدق مع النفس دون تعصب، بل التجرد لله والتماس الصواب والعمل على الاستدراك وإحياء مبدأ (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) فإنه مبدأ ليس للفرد وإنما يسع الفرد والجماعة والدولة والأمة حتى يكون الإنسان على هدى وبصيرة.

وقد نشأت مدارس إسلامية تدعو إلى اتباع نهج (السلف الصالح) على اتفاق أغلبهم على المدلول العام للمصطلح، وخلافات كثيرة عند تفصيل معناه، فمنهم من يرى أن اتباع نهج السلف لا يكون إلا بموافاتهم في كل شؤون الحياة الدينية من مأكل وملبس ومعاملة وطريقة حياة، ومنهم من يدعو إلى محاربة الجديد في الدين على أنه مستحدثة أو بدعة، رغم الإضطراب الكبير بينهم في تحديد مفهوم دقيق للبدعة من وسع ومضيق ومتوقف متحيّر، فهناك من يعرفها بأنها، كل أمر مستحدث في الدين، فإذا لم تتعلق البدع بالدين فهي مباحة، وأغلبهم يقصدون بالدين قسم الشعائر دون الشرائع.

ومنهم من يتوسع في مدلول الدين ليشمل إلى جنب ما تقدم، كل أمر تم إيقاعه على غير الكيفية التي حددها الشرع، وإن كان مشروع بأصله، وهو ما يعرف عندهم بالبدعة الإضافية، وهكذا.

أما عن تاريخ السلفية في الجزائر فيختلف العديد من الباحثين حول التأريخ لها، فهناك من أرجعها إلى ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست عام 1931 بقيادة الإمام عبد الحميد بن باديس[37]، حيث تعتبر أول جمعية تبنت مشروع الإصلاح، فقد تأثر مؤسسوها بالأفكار الإصلاحية التي ظهرت بالمشرق العربي في القرن التاسع عشر على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وقد كان من أهداف الجمعية إحياء تعاليم الإسلام الحقيقية، وتخليصه من الخرافات والطقوس التي علقت به، وهي التي أدت إلى تقهقر المسلمين نتيجة ابتعادهم عن تعاليم الإسلام كما يطبقها السلف الصالح وبالأخص الخلفاء الراشدين، فالحل للخروج من الأزمة إذا هو الرجوع إلى القرآن والسنة وتطهير الدين من كل الشوائب التي علقت به، ولأجل تحقيق ذلك أنشؤوا المدارس للإهتمام بالتربية والتعليم.[38]

[37] مجموعة مؤلفين، الإسلاميون والمجال السياسي في المغرب والبلاد العربية، ص 72

[38] محمد حربي، الثورة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ،2006، ص 120

وبشكل عام تأثرت الحركات الإسلامية السلفية التي ظهرت في الجزائر بالحركات الإسلامية في العالم سواء إخوانية، أو تبليغية، أو وهابية بالعربية السعودية خاصة بعد مظاهرات وأحداث 05 أكتوبر 1988. والتي كانت كانتفاضة بسبب أزمة اقتصادية وانغلاق سياسي، وتفشي الفساد بكل أنواعه ...الخ.

ويرى العديد من الباحثين أن هذه الحركة الإسلامية بشكل عام، كانت كنتيجة لعملية التعليم والتعريب وإيديولوجيات الأساتذة القادمين من المشرق العربي ومن شبه الجزيرة العربية، حيث تحولت المدارس لأماكن تلقين ووعظ ديني من طرف هؤلاء الأساتذة، وبالتالي سرعان ما تحول كل هذا إلى إسلاموية والتي بداياتها أرادت رمي مخلفات الإرث اللائيكي الفرنسي من المجتمع ككل، فأخذت المساجد مكان المدارس، وأصبحت مكانا للتجمعات ومركزا للأعمال الخيرية الممولة من العربية السعودية ومن هنا بدأت فكرة أن الشريعة الإسلامية هي التي ستحل الأزمة وكل المشاكل لأن كل شيء موجود بالكتاب.[39]

وبما أن السعودية تمثل مهد الإسلام وقبلة المسلمين، والمكان المقدس الذي يحج إليه من كل بقاع العالم، والمذهب السائد فيها هو الوهابية، فقد استغلت العربية السعودية هذا الرأسمال الرمزي، وبدأت تنشر إيديولوجيتها الوهابية بتدعيم حركات المقاومة في بعض الدول التي كانت تحت الحكم السوفييتي، أي محاربة الاشتراكية باسم الإسلام، وكان ذلك أيضا في بلدان عربية من بينها الجزائر، وقد أقيم فرع في الجزائر تابع لتنظيماتها بالعالم باسم "الدعوة" بإشراف من مفتي المملكة آنذاك عبد العزيز بن باز، وكان رئيس الرابطة الجزائرية الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الذي تتلمذ عنده الشيخ علي بن حاج[40]، وقد عرفت فترة الثمانينات نشاطا دعويا هاما خاصة بالمساجد، إلا أن هذه الدعوة أخذت منحى آخر، حين التحق علي بن حاج بالسياسة وأسس حزبا إسلاميا والمعروف بـ"الجبهة الإسلامية للإنقاذ" مما جعل البقية تنتقده وتنتقد من سار معه[41]، وبالتالي فالسلفية في الجزائر على النهج الوهابي لدى البعض لم تختر السياسة لأجل إقامة دولة إسلامية، إنما وظفت الدين وراهنت على الشعب لتحقيق مآربها ومصالحها الخاصة، لكن هناك من يرى أن السلفية الوهابية برزت للعيان مع مطلع سنوات 2000 أي بعد مجيء الرئيس بوتفليقة، فظهرت جماعة بأوساط الشباب متميزة في هندامها الذي لم يكن معروفا من قبل: الجلابيب للنساء، والأقمصة للرجال، لكنهم لا يشكلون تنظيما حزبيا ولا جمعويا، معتمدين في ذلك على مرجعية سعودية وهابية تتمثل في مجموعة من الشيوخ وعلى رأسهم محمد ناصر الدين الألباني وعبد

[39] Marc Ferro ; le choc de l'islam ;Édition odil Jacob. France 2003 P174175

[40] AISSA KHELADI, Les Islamistes Algériens face au pouvoir, édition alpha. Alger.1éretrimestre 1992

[41] الخبر الأسبوعي، العدد 526 من 25 مارس إلى 31 مارس 2009

العزيز ابن باز، ومحمد إبن صالح العثيمين....، ولقد ساعد في نمو هذا التيار وسائل الإعلام وبالأخص المال الخليجي الذي سخر أغلب وسائل الإعلام والإتصال وتكنولوجياتها، ومن خلال الكتب والمطويات التي كانت تبعث مجانا لطالبيها عن طريق المراسلة، وتباع محليا بأسعار منخفضة، لكننا نرى أن هذا التيار برز كرد فعل على فشل ما يعرف بالإسلام السياسي أو إفشال المشروع النهضوي الإسلامي بالجزائر أو العالم الإسلامي ككل، والذي كانت تتبناه الجبهة الإسلامية للإنقاذ من قبل. فالسلفية العلمية بالجزائر وبحكم أنها تمجد الحاكم مهما كان ولا تخرج على طاعته، وابتعادها عن أي نشاط سياسي نجد أن الطريق مهدت لها من قبل السلطة الحاكمة أنذاك في إطار سياسة ملأ الفراغ الذي تركته الجبهة الإسلامية للإنقاذ من جهة، ولتجنيب السلطة الحاكمة الصراع مع الإسلاميين مرة ثانية من جهة أخرى.

على غرار المبادئ الأساسية التي تكون الدين الاسلامي كالصلاة والصوم باعتبارهما واجبات وطقوس تلزم كل متدين مسلم وهذا لا جدال فيه. سنحاول في هذا العنصر ابراز دور اللباس لوضع التمايز بين اللباس الديني واللباس العادي، فاللباس هو شكل من أشكال التعبير الجسدي الهادف إلى ممارسة دينية فهو أيضا موضوع الجدال السياسي والديني، وعنصر أساسي نستطيع به بلورة معالم المجتمعات الاسلامية على أساس الإلتزام بما ورد في القرآن الكريم، والاقتداء بالنبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم.

الفصل الثاني

– تعتبر الممارسة الدينية من المسائل المحورية التي اهتم بها علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، فالإعتماد على الطريقة التجريبية (الإمبريقية) تسمح لنا بملاحظة وفهم السلوكيات التدينية لدى مجتمع البحث. فمن خلال العمل الميداني راودنا الشغف العلمي والمعرفي بطبيعة الحس الديني لدى العينة المختارة، وما هو موقفها من التراث الثقافي المحلي للمجتمع الجزائري.

– كما لاحظنا من خلال دليل المقابلة، وطبيعة الأسئلة المتعلقة بالطابع التديني لمجتمع البحث، وماهي المصادر المعتمدة في ذلك؟ فقد وجدنا أن مجتمع البحث تتنوع مصادر معرفته من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية، كالأسرة، والمسجد، والإعلام، و.. وأماكن نشاطها هل هي حضرية أم ريفية؟ والفئة العمرية التي يرتكز عليها موضوع بحثنا هذا. كل هذه المؤشرات المتعددة والمتنوعة تم تفكيكها إلى عناصر لفهم طبيعة ومضمون وطريقة تأثير هذه العناصر على تشكيل الوعي الديني لدى مجتمع البحث.

فعند التمعن في بعض المظاهر والمواقف الدينية، وعند تحليل الواقع الميداني، يتبين لنا بروز الطابع التديني في الحياة الاجتماعية، من خلال تنظيم الأبعاد العلائقية بين أفراد المجتمع، ويتجلى ذلك من خلال بروز الرمزيات وبعض المواقف ذات الطابع الديني اتجاه الموروث الثقافي، كل هذه التحولات والتغيرات التي أفرزها المجتمع، تمكنا من ضبطها من خلال العمل التنظيري والميداني، فحاولنا في هذا الفصل الكشف عن الكيفية التي تفسر بها الأحكام والقيم الدينية، وكيف تنعكس على مستوى المواقف والممارسات والسلوكيات الرمزية والتصورية لدى مجتمع البحث.

جدول يبين الحالة العائلية والمناطق العمرانية للمبحوثين

المتغيرات		الحالة العائلية		المجموع الكلي
		أعزب	متزوج	
المناطق العمرانية والسكنية	داخل المدينة	02	05	07
	ضواحي المدينة	01	02	03
النسبة المئوية		%30	%70	10 / %100

تعتبر الحالة العائلية والمناطق العمرانية لمجتمع البحث من المؤشرات الأساسية التي بواسطتها نستطيع تجديد المستوى المعيشي للمبحوثين، ومعرفة الطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها، فنلاحظ من خلاله أن هذه الفئة يقطن أغلب أفرادها داخل المدينة، بحيث يبين الجدول أن حوالي 70% من مجتمع البحث يقطنون في المراكز الحضرية، فهي تقيم في بيئة حضرية، أي: حيث تمتاز بتعدد الأجناس والثقافات، ويغلب على طريقة عيشها الطابع الغربي، فمن مميزات هذه البيئة أنها تتمتاز بالإنفتاح على الآخر، وتمتاز أيضا بالنشاط والحيوية المفعمة خاصة من جانب التيار السلفي الذي إنطلق من بيئة حضرية ولهذا نجد أن أغلب عناصر عينة البحث ينتمون للمدن أكثر من المناطق الريفية، حيث تساهم البيئة الحضرية هذه في تكوين ثقافة الفرد وله دور فعال في إسهاماته ومشاركاته في الأنشطة الجمعوية وسهولة انخراطه في الأحزاب السياسية، فالمدينة وباعتبارها مركزا للعلوم والسلطة، بالإضافة إلى ذلك نجد أيضا أن أغلب هؤلاء المبحوثين متزوجين في سن مبكرة وهم شباب في مقتبل العمر، نظرا لتركيز التيار السلفي وأهميته الشديدة على الزواج المبكر ودفع هؤلاء الشباب إلى التوجه نحو اتخاذ هذه القرارات في مثل هذا السن، وهذا عكس ما يحدث تماما بالنسبة لسكان المناطق الحضرية أو المدن الكبرى والمعروف عنهم الزواج في سن متأخرة نوعا ما، وبالتالي نجد أن الفكر السلفي راهن على متغيرين وهما شباب المدن أو المراكز الحضرية الكبرى، وميزة الزواج المبكر التي تمتاز بها الجماعة السلفية، وهذا راجع إلى أن

الاستثمار في السيطرة على عقول شباب المراكز الحضرية له فوائد من عدة أبعاد، ومنها: أن المدن تضم أكبر نسبة من السكان مقارنة بالريف، لأن العالم كله تقريبا يتجه نحو الحياة الحضرية بنسب كبيرة ومتفاوتة، كما أن المجتمع الجزائري يصنف بأنه مجتمع شاب بنسبة 73% تقريبا، كل هذا يجعل الإستثمار في المدينة بهذه المقاييس مثمر وفي ظرف زمني وجيز مقارنة بالمناطق الريفية. كما أن المدينة تعرف بمركز القرار السياسي، وأنها تحمل دائما المشروع السياسي الذي تدافع به السلطة عن نفسها وتسعى وراء إعداد الأفراد نحو ذلك، وهنا يبدوا جليا ان التيار السلفي ورغم تأكيده على مبدأ عدم التنافس على السلطة إلا أنه يحمل عدة إشارات تنبأ بأن هذا التيار يحمل في جيناته المشروع السياسي حتى وإن لم يتظاهر بذلك، أو أنه موظف لخدمة أجندات سياسية تمشي وفق استراتيجية على المدى البعيد.

جدول يبين المستوى الدراسي لمجتمع البحث:

المتغيرات	المستوى الابتدائي	المستوى المتوسط	المستوى الثانوي	المستوى الجامعي	النسبة الكلية
العدد	1	2	4	3	%100
النسبة المئوية	%10	%20	%50	%30	

يعتبر المستوى التعليمي من المؤشرات الأساسية التي بواسطتها نستطيع معرفة درجة الوعي العلمي والمعرفي لعينة البحث، فنلاحظ من خلاله أن هذه الفئة تمتاز بمستوى تعليمي متوسط، أو فوق المتوسط نوعا ما، حيث يبين الجدول أن حوالي 70% من مجتمع البحث يتمتعون بمستوى يبدأ من الثانوي إلى الجامعي معا، وهذا ما يدل على أن المستوى التعليمي لهذه العينة لا يعد بالمنخفض مقارنة بما كان عليه في بداياته الأولى في الجزائر بالنسبة لهذه الفئة، ولهذا يمكن أن نرجع سبب تبني وتقبل بعض من الشباب الجزائري لهذه المرجعية الفكرية، أي: الفكر السلفي لأسباب أخرى كالتنشئة الاجتماعية والظروف الاجتماعية والسياسية الأخرى المحيطة بها التي شهدتها البلاد، خاصة فيما يعرف بالعشرية السوداء،

والتي ساهمت في تقبل هؤلاء الأشخاص لهذا الفكر السلفي، كما ساهمت أيضا في انخفاض النضج والوعي السياسي، إذ تعتبر هذه المؤسسات التعليمية كالمدرسة والجامعة، من المؤسسات الهامة التي تشرف وتساهم بشكل كبير في صناعة الفرد بمحتواها الكلي، فيرتبط التغيير الأكثر أهمية بسيطرة التنشئة الاجتماعية أكثر من غيرها على مواقف وتوجهات الفرد.

هذا ما يعتبر في حد ذاته أن الأمر لم يعد يقتصر على المستوى التعليمي فقط، بل تعدى ذلك، كما تعتبر هذه الفئة بمثابة الفئة المهمشة أو الخاسرة في المجتمع، وهذا التهميش دفعها إلى البحث عن مكانتها في المجتمع، وهذا ما وجدته في الحركة السلفية التي ردت الاعتبار لهذه الفئة والشريحة من المجتمع، ومنحتها ما كانت تبحث عنه، وهذا ما جعلها تتقبل وتجد ضالتها في هذه الحركة السلفية وفي مرجعيتها، الفكرية فأصبحت فيما بعد تتشكل لها جملة من المواقف والتصورات غيرت من نظرتها حول كل ما له علاقة بالتراث المحلي، والذي جعلها تتبنى مواقف معادية أو بالأحرى رافضة لكل ما هو متعلق بالتراث الثقافي، بل أقحمته في خانة المحرمات وصنفته كبدع ومحدثات وجب الابتعاد عنها وتجنبها.

يقول أحد المبحوثين وهو ذكر 28 سنة، بأن المستوى التعليمي لا يعكس قدرة الفرد على التدين، والفهم الصحيح للدين، وبأن الشهادة أو المستوى لا تعكس ذلك، ولا تزكي الفرد بأن يصبح قادر على ذلك، بل وجب عليه إتباع أهل العلم على حسب تعبيره، ويربط أن جزء كبير من فساد المجتمع يحدث في المزاكز الثقافية والعلمية ومراكز البحث وغيرها، والتي تضم أصحاب الشهادات العليا وبعض الإطارات وغيرها... ويضرب المثل بأن الألباني مثلا لم يكن يحمل شهادات دراسية عليا ولا مستوى تعليمي كبير، وبأن مستواه الشخصي كان يفوق ما كان يتلقاه في هذه المؤسسات التعليمية.

تعتبر المدرسة والجامعة من الهيئات الاجتماعية والسياسية الرائدة، ويتبين لنا هذا من خلال طابعها العام الذي يسير بطريقة عقلانية وبصيغة هادفة، انطلاقا من قوانين الدولة التي تندرج ضمن نظام سياسي وإنساني يساهم العمل المدرسي في تكوين الفرد على طريقة المجتمعات المتحضرة، ومنها خاصية القدرة على الابتعاد عن الذات، وانطلاقا من هذه القوانين ومن خلال هذه البرامج التعليمية في إعداد الجيل من التحسيس بأهمية الوطن، والدفاع عن النظام السياسي الحامي له، تتخذ البرامج التعليمية كوسيلة فعالة لخلق الولاء لهذا الوطن والدفاع عنه، وذلك بتقديم المبررات الدينية والتاريخية والإنسانية التي تخدم هذا التوجه.

ترتكز النظريات الاجتماعية المعاصرة للأسرة على وجه الخصوص حول نمط العلاقة الموجود بين الآباء والأبناء، ومن هنا نفضل إشراك مفهوم العلائقية الذي يحيل بدوره إلى خاصية أساسية تكمن في وجود ارتباط وثيق الصلة بين الآباء والأبناء، وكل ما يحيط بالتنظيم الأسري. فتعد الأسرة بهذا من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية، نتيجة ما تحمله من مواطن قوة يمكن أن نلخصها كما يلي:

تعتبر الأسرة النواة الأولى التي يولد ويتربى بها الطفل، والتي تورثه كل ما يتعلق بالعادات والتقاليد والثقافة بشكل عام.

فالأسرة بهذا تنشأ الفرد هذا على الولاء للدين والأمة، وهذا بالتعريف بالطقوس والمعتقدات التي يعتنقها هؤلاء الأفراد وتأثير كل هذا على الوعي السياسي للأفراد.

من خلال هذه الفضائل التي تتمتع بها الأسرة سيتضح لنا المؤشر العام وتأثيره على تنشئة المبحوثين، من خلال موقفهم وتصورهم للتراث الثقافي المحلي للمجتمع الجزائري.

فما يهمنا في هذا العرض هو محاولة إيجاد موضع الربط بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية المتمثلة في الأسرة أولا وفي: المدرسة، الثانوية، الجامعة، والتي تشكل درجة الوعي السياسي والثقافي لعينة البحث، وما مدى تأثير قضية التنشئة الاجتماعية على تصورات المبحوثين اتجاه التراث الثقافي المحلي للمجتمع الجزائري. فنحن وفي هذا الإطار لا نقر بأن المستوى التعليمي وحده هو العامل الحاسم الذي يؤثر في مسألة تبني أو رفض مجتمع البحث لهذا التراث الثقافي المحلي، بل نرى أنه من العوامل المتعددة والمتنوعة وحرصا منا بتفادي التحليل العام الشموليholisme حسب طرح بورديو، اخترنا المستوى التعليمي ودور الأسرة لما يحملانه من أهمية في فهم ثنايا هذه الدراسة.

جدول يبين مرحلة تبني مجتمع البحث للمرجعية السلفية

المتغيرات		مرحلة تبني الفكر السلفي			المجموع الكلي
		منذ النشأة	المراهقة والشباب	الشباب فما فوق	
مكان الازدياد	مناطق حضرية	01	02	01	04
	مناطق ريفية	01	05	00	06
النسبة المئوية		%20	%70	%10	10 / %100

من خلال الجدول التالي نلاحظ أن أغلب عناصر عينة البحث قد تبنوا الفكر السلفي ومرجعيته في مرحلة المراهقة والشباب، إذ تعتبر مرحلة المراهقة من أصعب الفترات التي يمر بها الفرد في حياته، نظرا لحساسيتها وللظروف التي ترافقها والتغيرات التي تطرأ عليها من جميع النواحي الفيزيولوجية، النفسية والعقلية... والتي تطرأ على الفرد في هذه المرحلة بالذات، والتي يجب أن نوليها اهتمام كبير نظرا لتأثيرها بشكل حاسم ومباشر في أغلب الأحيان على مستقبل ومصير هذ الفرد، كما أن هذه الأخيرة تجعل الفرد وحسب بعض المعطيات والظروف الاجتماعية والتي من نتائجها أن تدفعه نحو التفكير في بعض الأمور المتعلقة بالمعتقد والوجدان لرسم معالم طريق المستقبل وتحديد مفاصلها ووضع بعض النقاط على الحروف، كل هذه المعطيات في هذه المرحلة الحساسة بالذات، والتي يخرج من خلالها الفرد من مرحلة اللامكلف إلى مرحلة المكلف شرعا، كما روي في الحديث الشريف أن النبي عليه الصلاة والسلام: "رفع القلم عن ثلاث، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل"، أي: أنها

بداية مرحلة البلوغ والتي تلزم الفرد بالشعائر الدينية وإتباعها والتمسك بها، كل ذلك جعل من التيار السلفي الوهابي أن يستهدف هذه الفئة بالذات ويستثمر فيها ويرمي بكل ثقله عليها في بناء مشروعه السلفي الوهابي بغرض السيطرة على العقل العربي الإسلامي وعدم ترك المساحة له للانفلات، وبحكم أن هذه الفئة بالذات من المراهقين والشباب يسهل التحكم فيها والسيطرة عليها في هذه المرحلة بالذات، وكأنها حرب أو الصراع من أجل التسابق نحو ضم أكبر قدر ممكن من العقول والسيطرة عليها وترويضها بهدف التحكم فيها وتوظيفها في الصراع الإيديولوجي ووفق ما يخدم مصالها في مشروعها هذا.

من خلال بعض المقابلات التي أجريناها، حول الجانب المتعلق باللباس، حاولنا معرفة تصور المبحوثين حول شكل اللباس الذي يرتدونه، وإيمانا منا بأهمية العمل الميداني، لفهم مواقف وتصورات المبحوثين حول طبيعة اللباس الذي يتمظهر به السلفيون، فشكل اللباس ورمزيته يبقى مؤشرا وعلامة للإختلاف والصراع حول المسائل المتعلقة بالأصالة والهوية والتراث الثقافي والتحديث والحداثة. إذ تؤدي رمزية هذا اللباس المتخذ من قبل بعض أعضاء الجماعة السلفية وظيفتين:

- **الوظيفة الأولى:** تنحصر في خلق جو إتصالي وتواصلي بين التراث والواقع بمستجداته.
- **الوظيفة الثانية:** وتكمن في المشاركة والمساندة والحث على اتباع هذا النموذج اللباسي المستمد تعاليمه من السنة والسلف الصالح، فتستخدم الرمزية الدينية للتمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين وبين رجال الدين وغيرهم من المؤمنين، وبين الأماكن المقدسة أو المحرمة، وغيرها من الأماكن الدنيوية وبين الأشياء النقية والطاهرة[42].

ومن الأمور الظاهرية التي بدأت تستدرج في حلبة الصراع السياسي والإديولوجي، نجد اللباس، ونجم عن هذا وجود تفرقة بين اللباس الغربي Le costume européen ولباس السلف الصالح Les costumes des ancetres pieux. فوُظِّف موضوع اللباس لدى أصحاب التيار السلفي، كمظهر اجتماعي لإبراز تميزهم وتمايزهم على كل الأطياف الاجتماعية والثقافية والدينية وحتى السياسية. فيكمن لباسهم في عباءة بيضاء، وسروال نصف الساق، وتقية بيضاء توضع فوق الرأس، هذا بالنسبة للرجال، أما بالنسبة للنساء فنجد الجلباب ومرفوق في غالب الأحيان بالنقاب (السداد)، فإذا سلمنا بأن هذا اللباس

[42] عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ط1، ص 175

تقليدي، نجد أنه شكّل نوع من القطيعة مع إرث ثقافي للباس الجزائري، بل في بعض الأحيان حل محله، والذي يكمن في البرنوس والجلابة والسروال الجزائري والحايك ...إلخ.

فنلاحظ من خلال هذا اللباس الذي تمظهر به أصحاب التيار السلفي حيث كان يؤكد على مسألة الاستمرارية بينه وبين تعاليم السنة والسلف الصالح حسب تصور المبحوثين، كما حاول أن يظهر بطابع متميز ومخالف لما ألفه المجتمع الجزائري، وهو معارضة وإحراج ومناقضة لطبقة اجتماعية وعدة تيارات أخرى كانت ولا زالت تتخذ من اللباس الغربي شكلا لستر أجسادها من جهة، ومناقضة اللباس الجزائري الأصيل (التراث) من جهة أخرى، بحكم أنه يعبر عن فكر شعبوي وطرقي، وهذا الذي بينته نتائج الدراسة والتي جاءت نتائجها في الجدول الموضح على الشكل الآتي:

جدول يبين تصورات المبحوثين حول اللباس التقليدي للعروس

المتغيرات	لباس الشهرة للعروس				المجموع الكلي
	دينية	تفاخرية	حضارية	تراثية	
العدد	00	07	01	02	10
النسبة المئوية	%00	%70	%10	%20	%100

فمن خلال الجدول الموضح أعلاه وجدنا المبحوثين الذين يرون في هذا اللباس يدخل في إطار التفاخر والكبر، ولا يمت بأي صلة بتعاليم الدين الاسلامي ومخالفة لما لقيم وتعاليم السلف الصالح، فقدرت نسبة هؤلاء حوالي 70%. كما شكلت نسبة أخرى من المبحوثين والتي قدرت ب 20% في أن هذا اللباس يعتبر بمثابة إثبات للهوية من جهة، ومن جهة ثانية ترى مجموعة من المبحوثين بأن هذا اللباس يتخذ طابع حضاري، حيث شكلت نسبة 10% وهي نسبة قليلة نوعا ما، وجاءت أجوبة المبحوثين على النحو الآتي:

– فيقول أحد المبحوثين وهو ذكر (25 سنة): أظن أن هذا الملابس ليست مجرد مظهر خارجي، وإنما هو تشبث بالعادات والتقاليد ولا يمت بأي صلة بالدين، ومخالف لما ورد في الشريعة الإسلامية، وإن كان هذا اللباس الذي تتمظهر به العروس هو غير جائز شرعا.

– ويقول مبحوث آخر وهو ذكر أيضا (سنة 28) أن هناك هؤلاء الذين يرتدون ملابس الشهرة هذه، يقومون بإغراء الآخرين من الفقراء والمساكين، من الذين لا يملكون القدرة على شراء مثلها، وهنا ستظهر بعض الفوارق بين الناس، وبالتالي فيها مضرة وإيذاء للآخرين.

– يقول أيضا مبحوث آخر وهو ذكر (30 سنة) في حقيقة الأمر رأيي في هذا اللباس، أنه مظهر يرمز إلى التباهي والإشهار أكثر منه المحافظة على العادات والتقاليد وإحياء للتراث. كما يشير أيضا إلى أن هذه الألبسة أغلبها ستكشف عورة المرأة وبالتالي سيبدين زينتهن حتى وإن كان الفضاء نسوي محض، وهذا ما يتعارض مع الشرع.

فمن خلال هذا التصور المفارقاتي نوعا ما بين المبحوثين، ومن خلال المؤشرات المدروسة سابقا، نستخلص منه مؤشر مرتبط بتصور المبحوثين والذي يعد عنصرا هاما في فهم الطابع التديني من خلال تصورات وممارسات المبحوثين، الذين يرون في لباس الشهرة بالنسبة للعروس بأنه له طابع مرتبط ببعض العادات السيئة التي وجب التخلص منها، وضرب عرض الحائط كل أنواع وأشكال التنوع الثقافي للمجتمع الجزائري، وكل ما له علاقة بالموروث الثقافي والشعبي المحلي، مع التأكيد وربطه دائما بعامل الدين، وهذا راجع إلى عنصر التمايز أكثر منه رغبة في التدين، فهذا ناتج عن الثقافة الدينية التي ورثوها من خلال الحركة السلفية الوهابية التي عهدوها والتي يغلب عليها الطابع الاديولوجي، فمن خلال عنصر اللباس قد أكد الميدان الطابع السجالي لعينة البحث، باعتباره من بين أهداف الدراسة في موضوعنا هذا.

جدول يبين تصورات المبحوثين حول الإحتفال بالمولد النبوي الشريف:

المتغيرات	الإحتفال بالمولد النبوي الشريف				المجموع الكلي	النسبة الكلية
	واجب ديني	تراث إجتماعي	عادات وتقاليد	إحياء للسنة		
العدد	00	04	06	0	10	%100

يرى أغلب الشباب السلفي أن إحياء الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، على أنه مخالف لشرع الله عز وجل وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ويقول أحد المبحوثين وهو ذكر (23 سنة) في ذلك بأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يسبق وأن احتفلوا بذكرى المولد النبوي الشريف ولا التابعين ولا تابعي التابعين، فهذا الإحتفال يعتبر من شر الأمور ومحدثاتها ولا يجوز شرعا. ويقول مستدلا في ذلك أيضا، بأنه لو كان الإحتفال بالمولد النبوي يجوز شرعا لإحتفل به الصحابة والتابعين، فهم أولى وأقرب إلى النبي عليه الصلاة والسلام منا نحن، وبهذا يضع الفكر السلفي الإحتفال بالمولد النبوي الشريف في خانة البدع ويحرمها تحريما مطلقا.

المتغيرات	عادات وتقاليد	التبرك والتوسل	بدع ومحدثات	المجموع الكلي
العدد	1	0	9	10

النسبة المئوية	%10	%00	%90	%100

جدول يبين تصورات المبحوثين حول إحياء الإحتفال بالوعدة (الطعم):

من خلال الجدول التالي نلاحظ أن عينة البحث ترى في قضية إحياء الاحتفال بالوعدة أو الطعم، بأنه خارج عن تعاليم الدين الإسلامي بتاتا، كما يقول أحد المبحوثين وهو ذكر 23 سنة بأنها نوع من أنواع الشرك بالله، وبأن ذبائحها لا يجوز أكلها لأنها لم تذبح لوجه الله، ويشير على أنه حتى حضورها لا يجوز في شرعا.

فنلاحظ من خلال هذا الجدول أن مجتمع البحث بصفة عامة يعتبرون أنفسهم مسلمين من الدرجة الأولى، ويرون في كل من يخالفهم تقريبا ليس مسلما من نفس درجتهم، وبأنه مسلم من الدرجة الثانية إن صح التعبير، وهذا ناتج عن بعض الظروف الاقتصادية والأزمات السياسية التي عاشتها البلاد.

فالمرجعية السلفية نجد أنها تحمل عدة تناقضات في طيّاتها، إذ نجدها تعتمد على أسلوبي الترهيب والترغيب، فالأول تعتمد فيه على التخويف كالمسائل المتعلقة بعذاب القبر وعصيان الله، وكذا سيكون جزاؤك إذا ارتكبت كذا معصية، وقضية الخروج عن الحاكم مهما كان فاسقا أو مفسدا ووجوب طاعته، فالخوف هذا يعتبر أكبر عقدة تعاني منها المجتمعات العربية والاسلامية، إما بسبب التنشئة الاجتماعية أو العنف والقمع الممارس من قبل بعض الأنظمة الحاكمة سواء كان تحت غطاء ديني بتوظيف رجال الدين أو بطرق أخرى، وبالتالي نجد كل هذا التخويف يستخدم فقط في خدمة أفكارها (المرجعية السلفية) وتمرير رؤاها وتقبل مواقفها، كل ذلك يوظف في خدمة الديولوجية السعودية (الوهابية)، فمثلا نجد أن العلماء السلفيين وعلى رأسهم عبد العزيز بن باز قد أفتوا بوجوب الجهاد في أفغانستان لما تعلق الأمر

بالإتحاد السوفياتي سابقا إبان الحرب الباردة، لكن الأمر نفسه إختلف لما تعلق الأمر بدخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى أفغانستان وغزوها للعراق في 2002 و2003 على التوالي، وقبل ذلك في حرب الخليج الثانية (1990–1991) حينما اجتمع حوالي 300 عالم من علماء السلفية ليجيزوا بعد ذلك الاستعانة بالكافر بغرض الحماية من نظام صدام حسين، وقبلها بسنتين كان فريق العلماء نفسه قد أصدر فتوى تحرم الاستعانة بالكافر واستدلالا لقوله تعالى: ﴿ **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾[43].

أما قضية الترغيب فتتمثل في أن هذا المنهاج السلفي هو المنهاج الحق وأنه منهاج رسول الله ﷺ والصّحابة وكل السلف الصالح، وما عداه من الجماعات والفرق الاسلامية الأخرى، كلها باطلة، وكلها في النار، وبأنهم هم الفرقة الوحيدة الناجية من النار. كل هذا وظّف بما يخدم الاديولوجية السعودية الوهابية، كما أن هذه الأخيرة سخرت الدعاة ورجال الدين في خدمة مشروعها السابق بعدما أدت وظيفتها واحترقت ورقتها بالكامل، فانتقلت الآن من توظيف الدعاة إلى إعدامهم لكل من يرفض التأمرك ولم يجيز الرقص والهز كما سموه والغناء والسهرات الليلية وقيام الحفلات، والتبرير لمثل هكذا سياسات.

فمسألة الكبت والحرمان، وعدم وجود مساحة للترويح والترفيه على النفس لدى التيار السلفي، الذي يحرم تقريبا كل أنواع الفن من مسرح، تمثيل وموسيقى...إلخ، ومن دون إعطاء البدائل أو التفكير فيها، كل هذا يؤدي بالفرد بعد أن يمتلئ شيئا فشيئا إلى بلوغ درجة عدم التحمل ما يجعله قابل للإنفجار في أي لحظة، ومن ثم يأتي اليوم الذي إما سيتخلى فيه عن هذا المنهاج كليا ويرمي بهذا القناع (السلفي) ويتحرر نهائيا من هذه المرجعية المقيِّدة، ويدخل مرحلة التشكيك في دينه ويسعى وراء تحقيق رغباته وطموحاته، أو أنه ينتظر اللحظة المناسبة لينفجر فيه ويعبر عن كل مكبوتاته التي كان يخبئها، باعتبار أن هذا الشاب اليوم تأتيه كمية هائلة من المعلومات في الدقيقة الواحدة، لذلك تأتيه جملة من التساؤلات في ذهنه فيصطدم بالمؤسسة الدينية، بالتربية المنغلقة، بالتنشئة الاجتماعية، السلطة الأولى، أي: سلطة الأب عندما يمارس القمع والاستبداد في الأسرة، كل ذلك يُؤدي بتمرد هذا الشاب، كما يقول الدكتور عمرو شريف في كتابه خرافة الالحاد وهو كتاب يتألف من 496 صفحة (2014)، فتكون بمثابة ردة فعل نفسية، فهي حالة نفسية تكون نتيجة تربية خاطئة، العبث الفكري، الفوضى المعرفية، فهذا الانسان

[43] سورة آل عمران: الآية 28

انفتح على التكنولوجيا وعلى العالم الآخر، وليست لديه آلية تحكم عقله في قضية تنقيح كمية المعلومات المتحصل عليها، فهذه الأخيرة تجعله يتخبط وينسلخ من هويته، وبالتالي يتمرد على موروثه، على أسرته، على حياته الاجتماعية والدينية، وهنا ينشأ الخلل الذي تتم تغذيته من الغرب فيتم استهداف العقل العربي والاسلامي عن طريق الاعلام الموجه بشكل مباشر لهذا العقل، عن طريق تلميع صور بعض الشخصيات الغريبة والمغمورة لبعض المفكرين والباحثين، وحتى بعض الكتب تتم طرجمتها من عدة لغات أجنبية إلى اللغة العربية، هي كتب موجهة إلى العقل العربي والاسلامي، فتباع بثمن رمزي جدا عمدا، كل ذلك أدى بهذا الشاب إلى أن يصطدم بالمؤسسة الدينية بحيث أنه لا يمتلك أدوات المعرفة ولا أدوات البحث العلمي، ويؤدي به إلى أن يكفر بالمؤسسة الدينية، فعندما تستعلي هذه الأخيرة على الانسان ولا تستطيع أن تجيب على أسئلته، تدفع به إلى أن يكفر بها وبسلطتها فيتمرد عليها ويبحث عن البديل الذي يلبي رغباته النفسية والعقلية، فلو تمعنا جيدا نجد أن هذا الانسان لم يكفر بالله، بل كفر بالمؤسسة الدينية وبرجالها، فهذه الأخيرة في مجتمعنا العربي والاسلامي هي من تحتاج إلى علاج حقيقي وليس هذا الشخص فكل هذه التساؤلات قد تشكل عبءا ثقيلا على نفسيته، فإما يبلغ مرحلة الالحاد ويتجه نحوه، أو يبلغ مرحلة أخرى يرى فيها الناس الآخرين (عامة الناس من غير السلفيِّين) الذين يروِّحون على أنفسهم سواء بمتابعة الأفلام السينيمائية أو المسرح أو سماع الموسيقى أو...إلخ، بأنهم رضوا بالمنكر والبغي، وبالتالي يراهم استدرجوا وانصهروا مع أعداء الدين الاسلامي وأصبحوا يشاركونهم في الكثير من المنكرات والمحرمات والبدع كما يصفها أصحاب الجماعة السلفية. كل ذلك يؤدي بهذا الفرد إلى بلوغ مرحلة خطيرة في الأخير ألا وهي التكفير، أي تكفير عامة الناس بحجة أنهم خرجوا عن تعاليم الاسلام ومبادئه الأساسية، ورضوا بكل هذا، وبالتالي وجبت محاربتهم والتصدي لهم وحتى قتلهم إن اقتضى الأمر ذلك، ومن ثم نستنتج أن السلفية العلمية في الكثير من الأحيان ماهي إلا مرحلة من مراحل الوصول إلى السلفية الجهادية[44] (التكفيرية).

هذا ما تبين لنا من خلال معايشتنا لهذه الجماعة (السلفية العلمية) إبان تجربتنا الشخصية ما بين 2004 إلى غاية 2012، وهنا نستطيع أن نقول أن السلفي الجهادي ستتشكل له نظرة عدائية للمجتمع، وستنمو في وجدانه فكرة مفادها أن جل أفراد المجتمع أصبحوا أعداءا لدين، أو أن هناك منظومة اجتماعية

[44] السلفية الجهادية مصطلح أطلق منذ نهاية الثمانينيات على بعض جماعات الإسلام السياسي والتي تتبنى الجهاد منهجاً للتغيير، تم بروزه كتيار فكري مميز في عهد أنور السادات، يعلن هذا التيار أنه يتبع منهج سلف المسلمين الأوائل وأن الجهاد أحد أركانه، يتم تطبيق الجهاد الذي يجب وجوباً عينياً على المسلمين ضد العدو المحتل وضد النظام الحاكم المبدل للشريعة الإسلامية ويحكم بالقوانين الوضعية أو النظام المبالغ في الظلم والقهر.

تحارب الاسلام ومبادئه الأساسية وتتآمر عليه، هذا حتى وإن كانت هذه الأخيرة حقيقة، فإنها ستهون عليه فكرة تبني أن أفراد المجتمع هؤلاء كفَّار وجبت محاربتهم بحجة أنهم لم يؤدوا واجبهم اتجاه دينهم ولم يلتزموا بتعاليمه ومبادئه الأساسية، ورضوا بجميع أنواع الفساد ولم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

كتاب خرافة الإلحاد للدكتور عمرو شريف وهو أستاذ في الجراحة العامة. الطبعة الأولى 2014 م– 1435هـ القاهرة مكتبة الشروق الدولية.

الخاتمة:

من خلال بعض المؤشرات التي اتضحت لنا في موضوع البحث هذا، نجد أن هذه الفئة (فئة الشباب)، هي الفئة التي استثمر فيها بشكل كبير، والتي راهن عليها المشروع الوهابي السعودي لتمرير رؤاه وقيادة العالم الاسلامي وتزعمه، باعتبارها الأكثر نشاطا في المجتمع الجزائري، فهي بمثابة الطاقة المتجددة للشعوب والمجتمعات، خاصة المجتمع الجزائري الذي تتشكل غالبيته من هذه الفئة، كما أنها لم تبلغ بعد مستوى النضج والوي والرشد، وهذا ما سهل من عملية اختراقها، كل هذا باسم الدين الاسلامي وتحت مبررات وغطاء ديني محض عن طريق بعض شيوخ الوهابية (السلفيين).

فالمعروف بأن فرنسا فشلت في مشروعها الثقافي لطمس هوية الجزائريين واقتلاعها من الجذور، كما أشار إليه بورديو في مؤلفه الإقتلاع (LE DERACINEMENT)، كل ذلك يعتبر بمثابة عملية تلقيم المجتمع الجزائري، فقد جاءت الوهابية السعودية بمشروع ثقافي ديني، أي: يحمل صبغة دينية (اسلامية)، إذ يقوم هذا الجزء العلوي من الشجرة والذي يمثل الجزء الظاهري (المجموع الخضري)، باعتبار هذا الأخير يعكس حالة النبتة ككل، هو الجزء المستهدف في هذه العملية، والذي يتم من خلاله إسئصال للجزء العلوي من الشجرة والذي يشكل كل ماله علاقة بالتراث المحلي والبعد الهوياتي إن صح التعبير في حالة المجتمع الجزائري وتلقيمه بجزء آخر يتمثل في الفكر الوهابي السعودي (الوهابي)، وربطه بجذور الشجرة والتي تمثل المجتمع هنا في هذه الحالة؛ وهذه الأخيرة هي في حقيقة الأمر إسلامية محضة، وفي ظل كل هذا، كانت ولازالت هذه الفئة من الشباب السلفي تبحث عن بعض معالمها في ظل واقع صعب تغلب عليه الصراعات الفكرية والسياسية ذات الطابع الإيديولوجي، ومن بين الأسباب التي ساهمت في انتشار الفكر الوهابي في الأقطاب الحضرية الكبرى أكثر منها في المناطق الريفية، رغم أن طريقة العيش في المراكز الحضرية والمدن الكبرى قريبة من الطريقة الغربية وتنتشر فيها الثقافة الفرنكوفونية أكثر من المناطق الريفية الأخرى، وهنا نستنتج بأنه هناك نوع من الرفض لهذا النموذج الغربي (الفرونكوفوني) لدى فئة معينة من الشباب وتسعى وراء تمسكها بهويتها الإسلامية. وهذا ما ساهم ودفع هذه الفئة نحو تقبل هذا الفكر السلفي وكرد وانتقام على بعض المظاهر الثقافية الغربية والتي نجدها منتشرة بكثرة على في الأقطاب الحضرية الكبرى أكثر منها في المناطق الريفية والتي كانت تسعى وراء بسط هيمنتها ونفوذها على المجتمع برمته، ففي ظل هذا الفراغ الديني الذي تركته المؤسسة الدينية في الجزائر في أواخر القرن

العشرين، إستغل التيار الوهابي ذلك مستثمرا في أهم فئة في المجتمع الجزائري، بغية السيطرة على العقول واستدراجها في مشروعه التوسعي.

الملخص:

من خلال نتائج البحث ونظرا لمعايشتنا لهذه الجماعة لمدة زمنية معينة، نرى أنه هناك عوامل كثيرة أدت ببعض الشباب الجزائري إلى تبني الفكر السلفي، نجد المعطى الاجتماعي، بحيث أن أغلب من تبنوا هذا الفكر أو هذه المرجعية ينتمون إلى الفئة المهمشة أو الفئة الخاسرة في المجتمع، وفي هذه الأخيرة يجد الفرد فرصته لرد الاعتبار لنفسه من خلال المكانة الاجتماعية التي سيكتسبها بعدما يصبح عضوا من هذه الجماعة، والتي ستقبله عضوا معها مهما كان، كما ستساعده في كسب منصب شغل لدى هذه الجماعة (السلفية) باعتبارها تفضل النشاط الحر خاصة التجارة، كما نجد أن طريقة إنتقائها لليد العاملة على أساس الإنتماء لهذه المرجعية السلفية حتى وإن لم يكون هذا الفرد سلفيا في حد ذاته، كل ذلك يشكل غطاء أو حماية لهذا الشخص من خلال التضامن والتآزر الاجتماعي الذي يسود الجماعة السلفية، فهذه الأخيرة تمنح الأولوية وتستحسن في الغالب تشغيل شباب يتبنى نفس منهاجها، والاعتماد على طاقاته وقدراته، وحتى أموال الزكاة تمنح لأشخاص من نفس تيارها دون غيره، فالأولوية دائما للسلفي حتى لو كان هناك شخص آخر (غير سلفي) أحوج لهذه الأموال والصدقات من غيره. كل هذا التضامن يشكل نوع من الغطاء والحماية لهذا الشخص من الناحية الإقتصادية بالنسبة لبعض الشباب السلفي، خاصة الجدد منهم، وهنا تبرز قضية الخوف من مواجهة الواقع الأليم وبعض الظروف الاقتصادية الصعبة. كل هذه المنظومة الاجتماعية دفعت بهذا الشاب ولعبت دور في المحافظة على عضويته داخل هذه الجماعة. بالإضافة إلى عامل الزواج المبكر الذي يعد من أولى الأهداف التي تحث عليها الفكر السلفي الشباب الجديد المتوافد عليها وتحفزه على ذلك وتساعده فيه، بحجة أننا في زمن الفتن وواجب التحصين منها، ولو تمعنا جيدا لأدركنا أن الهدف من وراء دفع الشباب وبعض الراهقين إلى الزواج هو عدم إعطاء مساحة لهذا الشاب ليراجع حساباته وأفكاره، وليعيد النظر فيها بحكم تضاعف مسؤولياته والتي ستجعله ينشغل بمشاكل وهموم الحياة اليومية أكثر من أي وقت مضى فيما بعد.

إذا تطرقنا إلى الواقع التديني من معتقدات وممارسات ومواقف وسلوكيات، وأثر ذلك على مستوى تصورات المبحوثين، خاصة فئة الشباب وموقفها من التراث الثقافي المحلي، فمن خلال هذه المؤشرات المهمة والتي لا تقتصر على اللباس والمظهر الخارجي فقط، رغم تركيزها على الهوامش، وإنما تحيل إلى

مجموعة من الخبرات والعادات والممارسات وبعض السلوك التي يستنبطها الفرد ويتقمصها جسديا لتصبح فيما بعد جزءا لا يتجزأ منه لتساهم في انسلاخ الفرد من هويته وفي اطار ملء الفراغ، إنها إذن ملكة الإستعداد حسب طرح بورديو HABITUS.

Abstract :

Through the results of the research and in view of our coexistence with this group for a certain period of time, we see that there are many factors that led some Algerian youth to adopt the Salafi thought, we find the social given, so that most of those who adopted this thought or this reference belong to the marginalized group or the losing group in society, In the latter, the individual finds his opportunity to restore himself through the social status that he will acquire after becoming a member of this group, which will accept him as a member no matter what, and will also help him gain a job with this group (Salafism) as it prefers free activity, especially trade, as we find. The method of its selection of the workforce on the basis of belonging to this Salafi reference, even if this individual is not a Salafi in itself, all of this constitutes a cover or protection for this person through solidarity and social solidarity that prevails in the Salafi group, since the latter gives priority and is often desirable to employ young people who adopts the same approach, relying on his energies and abilities, and even zakat money is given to people of the same stream and not others, so the priority is always to the Salafist even if there is another (non-Salafi) person in need of this money and charity than others. All this solidarity constitutes a kind of cover and protection for this person from an economic point of view for some Salafi youth, especially the new ones, and here the issue of fear of facing the dire reality and some difficult economic conditions arises. All this social system pushed this young man and played a role in maintaining his membership within this group. In addition to the factor of early marriage, which is one of the first goals that the new Salafist ideology urges, motivates and assists in it, under the pretext that we are in a time of temptation and the duty to protect it from it, and if we carefully studied it, we would realize that the goal behind pushing young men and some teenagers into marriage is Not giving space to this young man to review his accounts and ideas, and to reconsider them by virtue of doubling his responsibilities, which will make him preoccupied with the problems and concerns of daily life more than ever after.

If we deal with the religious reality in terms of beliefs, practices, attitudes and behaviors, and its impact on the level of the respondents' perceptions, especially the youth group and their position on the local cultural heritage, then through these important indicators which are not limited to clothing and external appearance only, despite their focus on the margins, but rather refer to a group from experiences, habits, practices and some behavior that the individual

devises and physically assimilates them to become later an integral part of it to contribute to the individual's detachment from his identity and within the framework of filling the void, it is then the queen of readiness according to Bourdieu's proposal.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

قائمة المراجع باللغة العربية:

1. طه نجم، علم اجتماع المعرفة (دراسة في مقولة الوعي والايديولوجيا)، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر 2004
2. جورج قرم، المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين تعريب خليل أحمد خليل، مراجعة ونسيب عون، دار الفرابي، 2007، ط1
3. عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب، (رسالة دكتوراه) إشراف محمد الطوزي، 2007-2008، المغرب
4. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، توزيع م د وع، 2007
5. عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب، (رسالة دكتوراه) إشراف محمد الطوزي، 2007-2008 المغرب
6. أوليفيي روا، الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة، ترجمة صالح الأشمر،دار الساقي، الطبعة الأولى، 2012
7. سامي زبيدة، أنثروبولوجيا الإسلام مناقشة ونقد لأفكار ارنست غيلنر –دار الساقي ، بيروت ، لبنان ط 1، 1997
8. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق بيروت. الطبعة الثانية، 2001
9. هشام جعيط، أزمة الثقافة الإسلامية. المركز الثقافي العربي ، الط الأولى ،بيروت لبنان
10. كمال عبد اللطيف، أسئلة النهضة العربية، مركز دراسات المحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2003
11. حسن سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصر ة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت
12. الإمام عبد العزيز ابن باز وآخرون ، 500 جواب في العقائد، دار ابن حزم
13. عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، الفرق بين الفرق ، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية ، القاهرة، مصر

14. عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله ، مكتبة المعارف ، الرياض،السعودية 1986
15. بوعلي ياسين ، حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة ،دار الطليعة الجديدة ، دمشق سوريا ، ط1 1998
16. مجموعة مؤلفين، الإسلاميون والمجال السياسي في المغرب والبلاد العربية
17. محمد حربي، الثورة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 2006
18. الخبر الأسبوعي، العدد 526 من 25 مارس إلى 31 مارس 2009
19. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ط1

قائمة الكتب الأجنبية:

1. Samir Amghar et autres coordonné par Laurent Testot et Jean-François Dortier, La Religion, Edition Sciences Humaines, France 2005
2. Samir Amghar et autres coordonné par Laurent Testot et Jean-François Dortier, La Religion, Edition Sciences Humaines, France 2005 p 198 - 200
3. MAX WEBER, L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme, traduction inédite et présentation par Isabelle Kalinowski, Flammarion, 3 édition, 2002
4. MAX WEBER, Economie et société, trad. Paris, puf, Coll, recherche politique, 1986, p13-14
5. Michel Reber ; Petite sociologie de l'islam. Édition Milan France 2005
6. AnneMarie Delcambre, l'Islam, éditions La Découvert, Paris France ,1991
7. Marc Ferro ; le choc de l'islam ;Édition odil Jacob. France 2003
8. AISSA KHELADI, Les Islamistes Algériens face au pouvoir, édition alpha. Alger.1éretrimestre 1992

قائمة المواقع الالكترونية:

1. https://www.ta3limkom.com/2017/11/searche-heritage-algeria.html
2. https://www.marefa.org/%D8%B3%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%A9

الفهرس:

شكر

اهداء

مقدمة.....01

أهمية الدراسة.....02

أهداف الدراسة.....03

أسباب اختيار الموضوع.....03

حدود الدراسة.....04

الدراسات السابقة.....05

الاشكالية.....08

الفرضيات.....12

طرق جمع المعلومات.....13

عينة البحث.....14

منهج البحث.....14

المقاربة النظرية.....15

تقسيم الدراسة.....17

تحديد المفاهيم الاجرائية.....18

الفصل الأول.....19

الإسلام: دين، هوية ثقافية، وإيديولوجيات.....19

بعض أنماط التدين بالمجتمع الجزائري.....21

نبذة تاريخية عن التيارات الفكرية السلفية الراهنة.....22

دراسة في المصطلحات.....26

أهم معالم التيار السلفي بشقيه العلمي والجهادي.....31

الفصل الثاني.....41

تحليل جدول يبين الحالة العائلية والمناطق العمرانية للمبحوثين.....41

تحليل جدول يبين المستوى الدراسي لمجتمع البحث.....42

تحليل جدول يبين مرحلة تبني مجتمع البحث للمرجعية السلفية.....45

تحليل جدول يبين تصورات المبحوثين حول اللباس التقليدي للعروس.....47

تحليل جدول يبين تصورات المبحوثين حول الإحتفال بالمولد النبوي الشريف.....49

تحليل جدول يبين تصورات المبحوثين حول إحياء الإحتفال بالوعدة (الطعم).....50

الخاتمة.....54

الملخص.....56

قائمة المصادر والمراجع.....59

الملاحق.....60

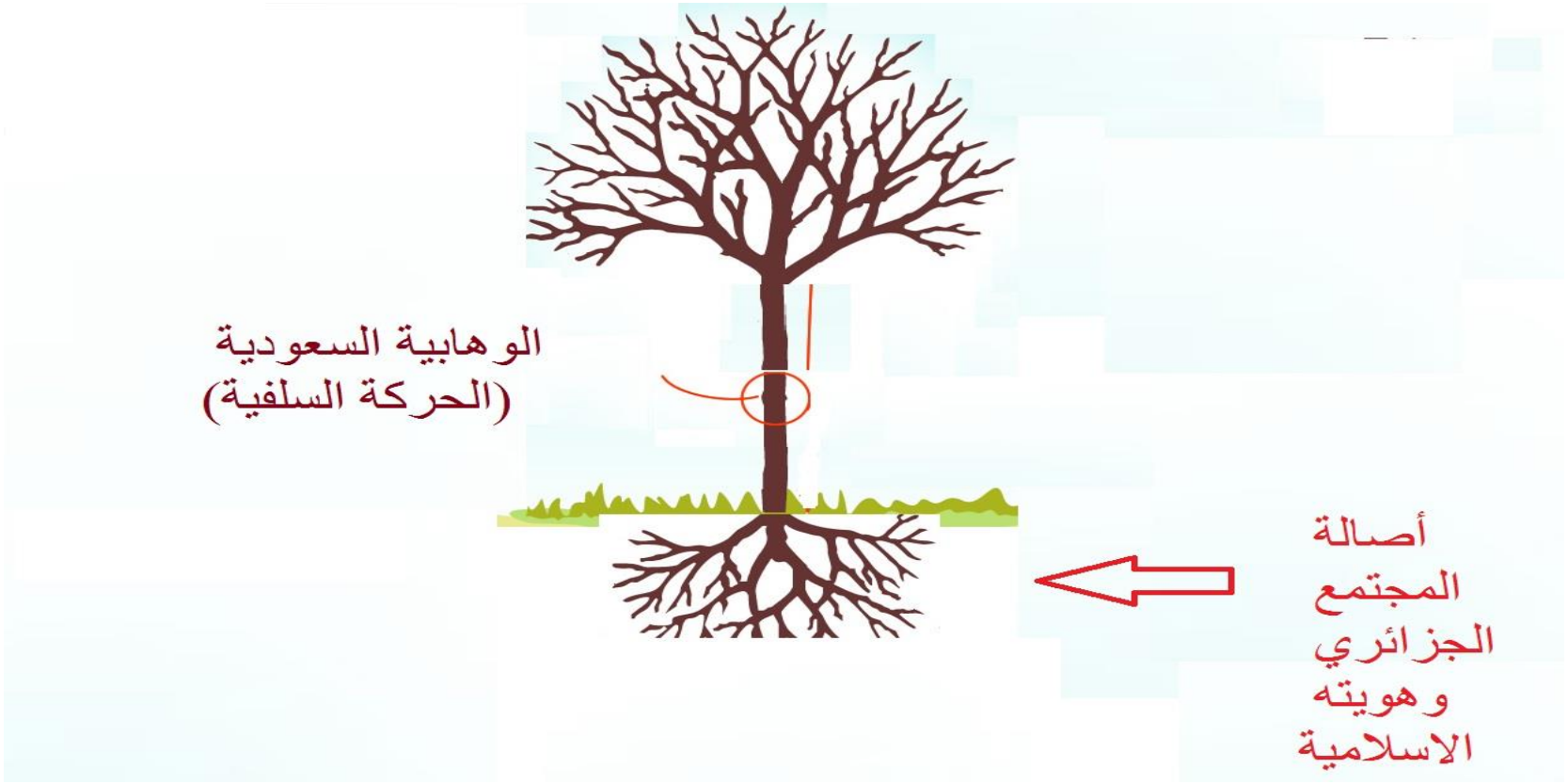

رسم تمثيلي يبين طريقة استئصال الثقافة الأصلية واستبدالها بالثقافة المروج لها (الوهابية السعودية)

دليل المقابلة

يوم .....

السيد .....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نبادر بجزيل الشكر إلى كل من تكرم ووافق عاى مقابلتنا وأمدنا بالإجابة المفيدة والمدعمة لموضوع البحث

الموضوع عبارة عن محاولة علمية في إطار التحضير لمذكرة الماستر في الأنثروبولوجيا الحضرية، تحت عنوان: التحولات القيمية الثقافية في المجتمع الجزائري – التيار السلفي نموذجا - دراسة ميدانية عن مدينة وهران.

تتمحور الدراسة حول مجموعة التحولات القيمية الثقافية والإجتماعية التي طرأت على المجتمع الجزائري منذ ظهور التيار السلفي في الجزائر خاصة في أيامنا هذه وما نواكبه من أحداث محلية وعالمية وتطورات في مختلف مجالات الحياة.

نرجوا منكم المساهمة في إثراء هذا البحث بما يطرحه من أسئلة لتفسير الإشكالية المطروحة المتمثلة في تأثير الحركة السلفية على مسار القيم الثقافية في المجتمع الجزائري راجين من سيادتكم الأمانة والمصداقية في الإجابة.

كما نتعهد أمامكم بعدم ذكر الهويات والأسماء واحترام الآراء الشخصية التي تتفضلون بها في هذه المقابلة، والتي تتحتوي على بعض الأسئلة المفتوحة لكم الإختيار الكامل في الإجابة عليها.

البيانات الشخصية:

1. السن:
2. مكان الازدياد:
3. الحالة العائلية:
4. أين تسكن وماهو نوع السكن؟:
5. المستوى التعليمي:
6. التخصص العلمي:
7. طبيعة النشاط الممارس:

الموقف السلفي من التراث الاجتماعي:

1. تحمل الجزائر رصيدا ثقافيا كبيرا ومتنوعا بتنوع التركيبة البشرية والعرقية فيها، فنجد من أصل أمازيغي وأصل عربي وأصل صحراوي وأصل ترقي مما يجعل عاداتها وتقاليدها تختلف وتتعدد من منطقة إلى أخرى، مثل طقوس الاحتفال في الأعراس.

فما رأيكم فيها وما حكم الدين بالاحتفالات في الأعراس؟ ألبسة العروس (التبراز).....

2. من ثقافة المجتمع الجزائري وعاداته خروج المرأة بـ**الحايك**، ما رأيكم في الحايك (الكسا)؟ وهل يعتبر لباس شرعي؟
3. ما حكم الدين في قراءة القرآن جماعة؟ وما حكم الدعاء جماعة؟
4. نلاحظ أيضا لباس خاص عند السلفيين الرجال. إلى ماذا يرمز هذا اللباس عندهم؟
5. يحتفل الجزائريون بمجموعة من الأعياد الدينية والتقليدية المحلية على غرار عيدي الفطر والأضحى، ومن أمثلة هذه أيضا الإحتفال بالمولد النبوي الشريف فما رأيكم في ذلك؟
6. ما رأيكم في الإحتفال برأس السنة الأمازيغية؟ وما حكم الدين في ذلك؟
7. ما حكم اللباس المحلي الجزائري شرعا (القشابية، البرنوس، العمامة و حمل العصى)، ولماذا يغيب عند السلفيين؟

الموقف السلفي من التراث الديني:

1. كيف تفسرون تقلص بعض الأسماء كالحسن والحسين لدى المجتمع الجزائري خاصة في 25 سنة الأخيرة؟
2. من العادات والتقاليد الجزائرية نجد قراءة القرآن في الجنائز فما رأيكم في ذلك؟
3. ما حكم صدقة الربعين على الميت؟
4. ماهو رأيكم في زيارة الأضرحة والقبور؟
5. ما حكم الوعدة أو الطعم؟

المستوى الإقتصادي:

1. يحبذ أغلب السلفيين النشاط الحر (التجارة)، لماذا؟

2. كيف تنظر لبقية المهن الأخرى؟